# الفصل الثالث

# أجناس الكتابة التاريخية عند ابن حزم

المبحث الأول : السيرة النبوية

المبحث الثانى : التراجم والطبقات

المبحث الثالث : التاريخ المحلي (تاريخ المدن)

المبحث الرابع : تاريخ الدول والحكام

المبحث الخامس : تاريخ الفتوح

المبحث السادس : الأنساب ومعاجم الشيوخ

المبحث السابع : تاريخ الأديان والفرق والأفكار

# المبحث الأول : السيرة النبوية

تنوعت أشكال الكتابة التاريخية ومجالاتها عند ابن حزم ، واستطاع أن يقدم لنا تراثا تاريخياً متنوعاً فى شتى فروع وأجناس الكتابة التاريخية ، والتى يمكن أن نصيغها فى المباحث التالية :

## المبحث الأول : السيرة النبوية :

- السيرة لغة: تطلق السيرة في اللغة على السنّة، والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان، قال تعالى ( سنعيدها سيرتها الأولى) ([1]).

- اصطلاحاً: هي ما نقل إلينا من حياة النبي ﷺ منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث ووقائع حتى موته.

وتشتمل السيرة على ميلاد النبى ونسبه، ومكانة عشيرته، وطفولته وشبابه، ووقائع بعثته، ونزول الوحي عليه، وأخلاقه، وطريقة حياته، ومعجزاته التي أجراها الله تعالى على يديه، ومراحل الدعوة المكية والمدنية، وجهاده وغزواته.

وقد تكون السيرة مرادفة لمعنى السنة عند علماء الحديث، وهو ما أضيف إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. كما تعني عند علماء العقيدة وأصول الدين طريقة النبي وهديه، كما فعل ابن القيم فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد . أما عند المؤرخين فإنها تعني أخبار النبى ومغازيه ، وهو ما يتضح من كتاب ابن عبدالبر النمرى : ط الدرر فى اختصار المغازى والسير " .

---

( 1) آية 21 سورة طه .

وتشمل السيرة النبوية في نطاقها الزماني من ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل وحتى وفاته في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وهي في مجملها ثلاث وستون سنة، وهي بالميلادي ( 571 – 632 م ).

**وقد عرفت الأندلس مؤلفات القرنين الأول والثاني الهجريين فى السيرة النبوية ومنها:**

1- صحف عروة بن الزبير ( ت ٩٢ هـ ) .
2- صحف أبان بن عثمان بن عفان ( ت ١٠٥ هـ ) .
3- السيرة لابن شهاب الزهري ( ت ١٢٠ هـ ) .
4- مغازي موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ).
5- سيرة ابن اسحاق (ت ١٥١هـ ) ([1]).

كذلك انتشرت بالأندلس **مؤلفات القرن الثالث والرابع الهجريين ومنها :**

1-السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المصري (ت ٢١٨ هـ).
2-مغازي الواقدي : محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ).
3-كتاب المغازى لعبدالرزاق بن همام الصنعانى ( ت 211هـ)
4-كتاب تهذيب مغازى ابن إسحاق لابن هشام ( ت 218هـ).
5-كتاب فى "فضائل النبى" و"مغازى الرسول ، لعبد الملك بن حبيب.
6-أعلام النبوة لأبى داوود السجستانى ( ت 275هـ)
7-تاريخ أبى بكر بن أبى خيثمة زهير بن حرب النسائى ( ت 279هـ).

1 ليث سعود : ابن عبدالبر الأندلسى وجهوده فى التاريخ ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط2 ، 1408هـ/1988م ، ص251.

8-السيرة من كتاب تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠).
9-السيرة من كتاب مروج الذهب : علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ ).
10-السيرة النبوية وأخبار الخلفاء : محمد ابن حبان التميمي البستي (ت٣٥٤هـ).
11-أسماء رسول الله ومعانيها : أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ ) ([1]).

ومما سبق يتضح أن الأندلسيين كانوا يعولون فى السيرة النبوية على كتب المشارقة منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، ومع مطلع القرن الخامس الهجرى وجدنا مدرسة متميزة فى تدوين السيرة النبوية حمل لواءها ابن حزم الأندلسى من خلال كتابه جوامع السيرة ، وكتابه حجة الوداع ، فضلا عن النتف الأخرى التى صاغها فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل ([2]) ، وكذا كان ممن بز من الأندلسيين بشأن تدوين سيرة النبى ابن عبدالبر النمرى من خلال كتابه الماتع الدرر في اختصار المغازي والسير([3]).

لقد كان ابن حزم يرمي من وراء تصنيفه كتابه " جوامع السيرة" إلى وضع مختصر قريب المأخذ، سهل المتناول، في أيدي طلابه، وأنه كان في هذا المختصر يضع الأصول التي لا يستغني عن تذكيرها أو استظهارها كل من اشتغل بالسيرة النبوية من طلاب العلم ، ومن ثم فقد كتب ابن حزم سيرته بأسلوب يغاير أساليب أهل عصره ومن ذلك :

**أولا : أنه تجاوز عن الإسناد تماما فى كتابه .**

1 نفسه ، ص252،253.
2 عبدالحليم عويس : ابن حزم ، ص223.
3 ابن عبدالبر : الدرر فى اختصار المغازى والسير ، تحقيق شوقى ضيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1431هـ/2010م ، ص5-22.

**ثانيا : أنه لم يذكر قائمة مصادره كاملة . بل اكتفى بالإشارة إلى من نقل عنهم كخليفة بن خياط والواقدى ، وأبى حسان الزيادى (1).**

قد تكون هذه الغاية التعليمية باعثًا أكيدًا، يحدو عالمًا مثل ابن حزم إلى كتابة السيرة النبوية، ولكنها ليست كل ما هنالك من بواعث، ومن يعرف قيمة النقل والاستكثار من السنن في مذهب أهل الظاهر عامةً، وعند ابن حزم خاصة والسيرة جزء هام من هذا النقل يجد أن تناول ابن حزم للسيرة بالنظر الجديد، والتحديد والتقييد، إنما هو جزء من مذهبه. فالنقل أساس من أسس المذهب الظاهري ، بل ميزة يعدها ابن حزم للملة الإسلامية على سائر الملل; وعن طريق النقص في النقل، وضعف الثقة في الناقلين، هاجم ابن حزم الملل الأخرى، ورآها أضعف من أن تثبت للنقد الصحيح. غير أن سيرة الرسول ليست جزءًا من النقل فحسب، بل هي صورة عليا من الكمال الإنساني، في نفس ابن حزم، ولذلك لا غرابة في أن يجعل منها موضوعه المحبب، وأن يحاول وضعها للناس وضعًا ميسرًا قريبًا واضحًا بين الحقائق (2). لذا فهو القائل : "من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليعتمد أخلاقه وسيره ما أمكنه" (3) .

وقد ذكر ابن حزم عدة كتب من المصادر التي نقل عنها، وهم : تاريخ أبي حسان الزيادي، وتاريخ خليفة بن خياط ، والواقدى (4)، وهى من الكتب التي فقدت، وبقيت منها نقول مبثوثة في بعض الكتب التاريخية ; ولا ندري أطلع عليها ابن حزم،

1 ليث سعود جاسم : ابن عبدالبر الأندلسى، ص411 ،412.
2 إحسان عباس وناصر الأسد : مقدمة جوامع السيرة لابن حزم ، دار المعارف بمصر ، ص5،6.
3 أنظر : مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق ، ص13.
4 أنظر : جوامع السيرة ، ص33 ، 35 ، 36 ، 39.

أم نقل عنهما نقلًا غير مباشر. أما الذي لا شك فيه فهو أن تاريخ خليفة قد وصل الأندلس في عهد مبكر، برواية بقي بن مخلد، وبقي عند ابن حزم شيخ المفسرين والمحدثين (1).

ولا شك أن ابن حزم اطلع على كثير من الكتب المؤلفة في سيرة الرسول، ونخص بالذكر منها مغازي موسى بن عقبة، وكتاب السير لسعيد بن يحيى الأموي، وأعلام النبوة لأبي داود السجستاني، وأعلام النبوة لأبي جعفر أحمد بن قتيبة ، فكل هذه الكتب، وغيرها ، هاجر إلى بلاد الأندلس، وتداوله الأندلسيون روايةً ودراسةً (2).

ويدلنا البناء العام لكتاب السيرة ، على أن ابن حزم يتكئ كثيرًا على سيرة ابن إسحاق – التى اختصرها ابن هشام وهذبها – ، وخاصةٍ حين أخذ في الحديث عن غزوات الرسول واحدة واحدة، وعد في كل غزوة أسماء من شهدها من المسلمين والمشركين، وأسماء من استشهد من المسلمين، حتى إن شدة اتباعه لرواية ابن إسحق في هذه المواطن لتطلعنا على ظاهرة عجيبة، فقد حافظ ابن حزم على النسب الكامل لأكثر من ذكرهم من الأشخاص، وليس هذا مما يستغرب منه وهو صاحب الجمهرة في الأنساب إنما الغريب حقًا أنه في السيرة اختار رواية ابن إسحاق نفسه في النسب، بينا لم يأخذ بها في الجمهرة. فلعله ألف الكتابين في فترتين متباعدتين، أو لعل مصادره في الجمهرة كانت كتبًا أخرى، ليست تحتوي على رواية ابن إسحق.

1 أنظر : رسالة فى فضل الأندلس ، ص178،179.
2 ابن خير: الفهرست، ص230 – 237.

وقد أفاد ابن حزم في كتابه جوامع السيرة، مما صنعه صاحبه ومعاصره أبو عمر ابن عبد البر، مؤلف كتاب "الدرر في اختصار المغازي والسير" (1)، إلا أن نفترض أن المؤلفين ابن عبد البر وابن حزم ينقلان عن مصدر ثالث لم يصل إلينا.

ولقد ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أن ابن حزم تابع ابن عبدالبر فى كتابه ونقل عنه فى مواضع عديدة ، وقدم نماذج لقوله هذا منها :

1- متابعة ابن حزم لابن عبدالبر فى ترتيب الغزوات .
2- نقل ابن حزم بعض الغزوات نصا من كتاب الدرر لابن عبدالبر.
3- موافقته لابن عبدالبر فى تصحيح بعض الأحداث كالقول بأن ابا موسى الأشعرى لم يكن ممن هاجر إلى الحبشة ، والقول بأن ذا الشمالين استشهد ببدر ، وهو غير ذى اليدين .
4- متابعته لابن عبدالبر فى بعض الأخطاء اللغوية التى وقعت فى النسخة التى اعتمد عليها كقلب اسم أنس بن النضر إلى النضر بن أنس وجاء هكذا فى كتاب الدرر لابن عبدالبر وفى كتاب الجوامع لابن حزم (2).

ومهما يكن من أمر نقل ابن حزم عن ابن عبدالبر أو نقلهما عن مصدر ثالث فق كتب ابن حزم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وميز بالعناية البالغة فصلين هامين منها، هما: أعلام الرسول (3) ، وخلقه وشمائله . وهذان هما الموضوعان اللذان ذكرهما

---

1 انظر : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، 1/ 110; الإشارة في جوامع السيرة ، تعليق رقم 1 ص52.

2 ليث سعود : ابن عبدالبر ، 412،413.

3 أعلام النبى هى الخوارق والمعجزات التى جرت على يدى النبى ، وكان من البيات المعجزة لمزيد من التفاصيل عنها أنظر : الماوردى : أعلام النبوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1406هـ/1986.

في كتاباته الأخرى، لأنها شاهدا حق على نبوة الرسول، ولأن ثانيهما يمثل الجانب العملي في الكمال الخلقي.

ويمكننا أن نعرف مدى التميز الذى تميز به ابن حزم فى جوامعه ، ومدى القيمة التى قدمتها لنا السيرة التى دونها من خلال عرض الرأي الخاص بابن حزم في مسائل كثر حولها الاختلاف، وخاصةً تأريخ الأحداث وزمان وقوعها، ومن ذلك:

أولا : قال الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: "وفي مرجع الناس من غزوة بني المصطلق، قال أهل الإفك ما قالوا، وأنزل الله تعالى في ذلك من براءة عائشة رضي الله عنها، ما أنزل، وقد روينا من طرق صحاح أن سعد بن معاذ كانت له في شيء من ذلك مراجعة مع سعد بن عبادة، وهذا عندنا وهم، لأن سعد بن معاذ مات إثر بني قريظة بلا شك وفتح بني قريظة في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة، بعد سنة وثمانية أشهر من موته، وكانت المقاولة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة" (1).

ثانيا : وقال بعضهم: كانوا " أي المسلمين في عمرة الحديبية" سبعمائة، قال ابن حزم: "وهذا وهم شديد ألبتة، والصحيح بلا شك ما بين ألف وثلاثمائة، إلى ألف وخمسمائة"(2).

وبهذه الأمثلة، ومثلها كثير، تظهر لنا ميزة "جوامع السيرة"، وبها تنفرد عن غيرها من السير، وبها يتميز ابن حزم المؤرخ في طريقته التاريخية، فهذه الدقة البالغة في تحليل النص المنقول، واختيار الرواية الصائبة بعد الفحص والنظر والمقارنة، وتصحيح

1 أنظر : جوامع السيرة ، ص206.
2 أنظر : جوامع السيرة ، ص207.

الأوهام التي تنجم عن سرعة أو قلة تدقيق ... هذه هي المميزات التي لا يستطيع أحد أن ينكرها على ابن حزم المؤرخ ، وهي مميزات لا يستكثر معها تلك اللهجة التقريرية القاطعة التي تغلب على كتابته، ولا يستنكر إزاءها قوله دائمًا، "لا شك" و"لا بد". فإن الثقة القائمة على التحري المخلص، والنقل الثابت قطعًا، هي وحدها التي تملى على ابن حزم هذه الألفاظ القوية الحاسمة (1).

لقد عرف أبو محمد بين معاصريه بالضبط الدقيق في تقييد التواريخ، حتى إن تلميذه الحميدي في جذوة المقتبس لا يفتأ يقول كلما وجد رواية أستاذه تخالف رواية غيره: "وأبو محمد أعلم بالتواريخ" (2) ; ومن ثم فقد جاءت هذه السيرة تحمل رأيًا قاطعًا لا تردد فيه، في تأريخ الأحداث لا لأن ابن حزم مؤرخ شديد الدقة والضبط فحسب، "بل لأنه ذو رأي مستقل في طريقه التأريخ الهجري. فهو يعتبر شهر ربيع الأول وهو الشهر الذي هاجر فيه الرسول إلى المدينة أول السنة الهجرية، محرراَ بذلك تأريخ وقائع السيرة، ينسبها إلى الوقت الذي وقعت فيه الهجرة فعلًا. لا يقصد بذلك مخالفة التاريخ الهجري الذي استقر عليه المسلمون جميعًا، منذ عهد عمر إلى الآن، وإلى ما شاء الله، وهو اعتبار شهر المحرم بدء السنة الهجرية". فصنيعه هذا من الناحية التأريخية الصرفة أدق في التوقيت وأقرب إلى الواقع التاريخي. وخاصةً حين أصبح المؤرخون يقولون: إن هذه الحادثة أو تلك حدثت في السنة الثانية أو الثالثة، وانصرفوا عن مثل قول الواقدي إنها حدثت مثلًا – على رأس خمسة عشر أو ستة عشر شهرًا من مقدم الرسول إلى المدينة، وواضح أن بين التعبيرين فرقًا يذهب بعدد من الأشهر، بعد إذ اعتبر المحرم رأس السنة الهجرية(3).

---

1 إحسان عباس وناصر الأسد : مقدمة جوامع السيرة ، ص9 ،10.
2 أنظر : الجذوة ، ص249.
3 إحسان عباس وناصر الأسد : مقدمة جوامع السيرة ، ص11، 10.

ولعل من الأمور التى ميزت جوامع السيرة أيضا تأصيل ابن حزم للمنهج النقدى للأخبار والروايات ، أو ما عرف حديثا بفلسفة التاريخ حال طرحه لبعض الأخبار، وليس أدل على ذلك من رفضه لما رواه المؤرخون والمفسرون من أن ثعلبة بن حاطب منع الزكاة فنزل فيه قوله تعالى : ( ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون* فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ) [ سورة التوبة الآيات 75-77] لأن شهوده بدرا يبطل ذلك (1).

ولأهمية كتاب جوامع السيرة فقد اعتنى به المؤرخون وغيرهم عناية فائة واستفادوا منه ونقلوا عنه ، ومن هؤلاء :

1- علي بن محمد بن سعود الخزاعيُ (ت:789هـ), في كتابه (تخريج الدلالات السمعية) (2).

2- ابن الوزير فى كتابه الروض الباسم (3).

وإلى جانب جوامع السيرة فقد كانت لابن حزم إسهامات أخرى فى السيرة النبوية منها إفراده حجة الوداع بكتاب جمع فيه بين المنهج التاريخى والحديثى مع ترجيحات فقهية ، تؤكد عظمة ابن حزم فى توظيفه العلوم البينية ، وقد ضمن ابن حزم كتابه تسعة

(1) أنظر : جوامع السيرة ، ص98 ; عبدالباقى السيد : ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى ، ص259 ، وقد احتج ابن حزم لقوله بما رواه البخارى أن الرسول قال ( لعل الله اطلع على من شهد بدرا قال : اعملوا ما شئتم إنى قد غفرت لكم ) رقم 4274.

2 أنظر : تخريج الدلالات السماعية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ص813.

3 أنظر : الروض الباسم ، 1/ 61.

وعشرين فصلا ، جمعت ما بين الوصف ، ودرء التعارض بين الروايات ، وتحقيق بعض الخلافات الفقهية ، وكذا الحديثية ([1]).

**أما عن مصادر ابن حزم فى كتاب حجة الوداع فيمكن أن نجعلها على نوعين:**

**الأول : المظان الحديثية ومنها :**

1. (المُسْنَد) لحماد بن سلمة (ت: 176هـ).
2. (الموطَّأ) للإمام مالك بن أنس (ت:179).
3. (المصنَّف) لوكيع بن الجرَّاح (ت:197هـ).
4. (حديث) سفيان بن عيينة (ت: 198هـ).
5. (المصنَّف) لعبد الرزاق الصنعاني (ت:211هـ).
6. (المُسْنَد) لأبي بكرٍ الحميدي (ت: 219هـ).
7. (المُسْنَد) لأبي بكر ابن أبي شيبة (ت: 235هـ).
8. (حديث) إسحاق بن راهويه الحنظليِّ (ت: 238هـ).
9. (حديث) عبد الملك بن حبيب السلمي (ت: 239هـ).
10. (مسائل) الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ).
11. (الجامع المسنَدُ الصحيحُ المختصَرُ من أُمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُنَنه وأيَّامه) لأبي عبد الله محمد بن أسماعيل البخاري (ت:256هـ).
12. (المسند) لابن سِنْجَر (ت: 258هـ).
13. (المُسنَد الصحيح المختصر من السنن, بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ).
14. (السنن)، لأبي داود سليمان بن الأشعث السَّجِسْتاني (ت: 275هـ).

---

1 أنظر : حجة الوداع ، تحقيق عبدالحق التركمانى ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، 1429هـ .

15.(حديث) هلال بن العلاء القُتيبي (ت: 280هـ).
16.(تاريخ) أبي زرعة الدمشقي (ت: 281هـ).
17.(حديث) علي بن عبد العزيز البغوي (ت: 286هـ).
18.(حديث) محمد بن عبد السلام الخُشَنيِّ (ت: 286هـ).
19.(المسند) لأبي بكر البزَّار (ت: 292هـ).
20.(السنن الكبرى) لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسائيُّ (ت: 303هـ).
21.(حديث) أبي خَليفة الجُمَحيِّ (ت: 305هـ).
22.(حديث) أبي يحيى زكريا الساجي (ت: 307هـ).
23.(حديث) محمد بن جرير الطبري (ت:310هـ).
24.(الضعفاء) لأبي جعفر العقيلي (ت:322هـ).
25.(حديث) ابن الجهم (ت: 329هـ).
26.(المصنَّف) لابن أَيمن (ت: 330هـ).
27.(المُجْتَنَى) لقاسم بن أصبغ (ت: 340هـ).
28.(مناسك الحجِّ) لأبي ذَرٍّ عبد بن أحمد الهَرَويِّ (ت:434هـ).

**الثاني : المظان الفقهية ومنها :**

1- مختصر المزني.
2- اختلاف العلماء للطحاوى الحنفى المصر .
3- الجمع بين الأحاديث المروية في حجة الوداع للطحاوى .

ومما لا شك فيه ان مطالعات ابن حزم الفقهية بشأن هذا الكتاب كانت متعددة ، والمطالع لمصنفاته الفقهية الأخرى يدرك ذلك لا سيما كتابه المحلى بالآثار[1].

1 أنظر : حجة الوداع ، ص72،73.

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب حجة الوداع الذى عالج جزئية غاية فى الأهمية من جزئيات السيرة . بل حادثة من أعظم حوادث السيرة إذ إن هذه الحجة وقع فيها من اجتماع الصحابة ن ومن كلام النبى ، واكتمال اشلريعة ما كان حرى بمؤرخ كابن حزم أن يتناولها تناولا جعل العلماء من بعده يعولون على كتابه ويولونه عناية واضحة ، روايةً واقتباسًا وثناءً ، ومن هؤلاء :

1. عبد الحق الإشبيلي (ت582هـ), في كتابه (الأحكام الوسطى).

2. ابن عربي الصوفي الظاهرى صاحب الفتوحات المكية (ت638هـ)، في كتابه (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار).

3. العلامة محيي الدين بن شرف النووي (ت677هـ), في كتابه (المجموع شرح المهذب), و(شرح صحيح مسلم).

4. محب الدين الطبري (ت694هـ)، في كتابه (القِرى لقاصد أُمِّ القُرى).

5. شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ), في (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية).

6. الحافظ ابن سيد النَّاس (ت734هـ), في كتابه (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير).

7. الحافظ الذهبي (ت748هـ), في كتابه (السِّيَر)، وذكر أنه يقع في (120) ورقة.

8- الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة (ت751هـ), في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد), (تهذيب السنن).

9. العلامة خليل بن أيبك الصَّفَديُّ (ت764هـ), في كتابه (الوافي بالوفيات), في سياق ذكر مؤلفات ابن حزم.

10. عزُّ الدين بن جماعة (ت767هـ), في كتابه (هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك).

11. الحافظ ابن كثير(ت774هـ), في كتابه (البداية والنهاية), حيث قال: (وَقَدْ اعْتَنَى النَّاسُ بِحَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتِنَاءً كَثِيرًا مِنْ قُدَمَاءِ الْأَئِمَّةِ وَمُتَأَخِّرِيهِمْ، وَقَدْ صَنَّفَ الْعَلَّامَةُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، مُجَلَّدًا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ أَجَادَ فِي أَكْثَرِهِ...) (1).

12. العلامة علي بن محمد بن سعود الخزاعيُ (ت789هـ), في كتابه (تخريج الدلالات السمعية) (2).

13. الفقيه ابن الملقِّن (ت804هـ), في كتابه (البدر المنير)، وفي (الإعلام بفوائد عمدة الأحكام).

14. الحافظ العراقي (ت806هـ), في كتابه (ذيل ميزان الاعتدال).

15. الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ), في كتابه (فتح الباري)، وكتاب (التلخيص الحبير).

16. الفقيه بدر الدين العينيُ (ت855هـ), في كتابه (عمدة القاري).

17. الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت924هـ), في كتابه (سبل الهدى والرشاد, في سيرة خير العباد, وذكر فضائله واعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد) (3).

ولابن حزم رسالة مفردة أخرى فى السيرة النبوية وسمها بـ : " جمل من التاريخ" جعلها لصغار الطلبة تسهيلا لهم لتعلم سيرة النبى (4).

---

1 أنظر : البداية والنهاية ، 139/5.

2 أنظر : تخريج الدلالات السماعية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ص813.

3 أنظر : حجة الوداع ، ص22-40.

4 أنظر : جمل من التاريخ ، تحقيق ابن عقيل ، عبدالحليم عويس ، دار الاعتصام ، القاهرة ، 1977م ، ص11-25.

كذلك عرض ابن حزم لموضوعات متفرقة من سيرة النبى فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، وذلك فى سياق رده على الشبهات التى روجها أعداء الإسلام ضد النبى محمد ، وقد حصر هذه الشبهات فى ثمانى شبهات وهى :

1- قصة عبس وتولى .
2- الغرانيق.
3- تأخر الوحى لعدم تقديم النبى المشيئة .
4- قصة زواج زينب بنت جحش .
5- قبول النبى الفداء فى أسرى بدر .
6- قول النبى إنه لو كان مكان يوسف بن يعقوب لأجاب الداعى للخروج من السجن .
7- خطأ النبى فى الصلاة .
8- زعم البعض شك النبى فى الوحى [1].

ويبرز لنا كتاب المحلى - أهم وأخطر كتب ابن حزم الفقهية - اهتمام ابن حزم بالتاريخ والجوانب الحضارية [2] ومن أهمها على الإطلاق ما يخص سيرة الرسول والراشدين كحديثة عن مراسلة الرسول للملوك والأمراء ، وحديثه عن وجوب الخلافة فى قريش ، وحديثه عن الإسراء والمعراج ، وحديثه عن عمال الخلفاء الراشدين على البلاد وغير ذلك [3] مما يؤكد على عمق نظرة ابن حزم للتاريخ واستحداثة منظورا

---

1 أنظر : الفصل ، 4/21-31.

2 شغلنا أنفسنا بهذا الموضوع منذ سنوات عدة ، وبدأنا بالفعل فى العمل فيه تحت مسمى : " الجوانب التاريخية والحضارية فى المحلى لابن حزم" ، وقطعنا فيه شوطا لا بأس به ، ونسأل الله العون والتوفيق للانتهاء منه .

3 أنظر المحلى ، ج1 مسائل رقم 43 ، 66 ، 86 ، 87،93 ،100،99.

جديدا فى التعامل مع التاريخ كأحد أخطر العلوم التى تتداخل مع جل العلوم إن لم تكن كلها.

## المبحث الثانى : التراجم والطبقات :

شهدت الكتابة فى مجال التراجم والطبقات تطوراً ملموساً. ففى محتوى كتب التراجم هذه تسجيل لتاريخ الحياة الفكرية والاجتماعية إلى جانب الحياة السياسية لعصور هؤلاء الرجال[1].

وقد لجأ المؤرخون المسلمون من كُتاب التراجم والسير إلى طريق الاتصال المباشر للشخص المترجم له والقرب منه . وقد يستمد مؤرخ التراجم والسير معلوماته عن طريق السماع والنقل الشفهى، فيتلقى المؤرخ أخبار من يترجم له سيرته وحياته سامعاً عن هذا أو ناقلاً عن ذاك[2]. ولا شك أن أصحاب التراجم كانوا أكثر تحفظاً من الإخباريين فى النقل من كتب السابقين ، وذلك لتريثهم فى جمع العناصر، لأنهم لا يكتبون لنيل الجوائز المادية، والمنح المالية، من أصحاب السلطة والوجهاء من رجال الدولة. بل لأنهم يعرفون أن مصنفاتهم ستكون أكثر تداولاً، وأكثر تعرضاً للفحص والنقد[3] .

ومن أبرز من صنف فى هذا النوع من الكتابة التاريخية عبدالملك بن حبيب الذى صنف كتابا عن " فضائل مالك بن أنس " لكونه من أوثق أصحاب الإمام مالك[4].

(1) هاملتون جب : دراسات فى حضارة الإسلام، ص 161; وانظر : شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون، 382/1 ; فاروق عمر فوزى: التدوين التاريخى، ص 76.
(2) محمد عبد الغنى حسن: التاريخ عند المسلمين، ص 64-65.
(3) ليفى بروفنسال: مؤرخو الشرفاء، (المناهج التاريخية)، ع4، ص 181.
(4) الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، ص 246; وانظر : ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 12.

ومن أشهر المؤلفين الأندلسيين الذين صنفوا في التراجم والطبقات **محمد ابن عبد الرؤوف** (ت343هـ/955م) له تأليف (في الأخبار والتواريخ وطبقات الشعراء بالأندلس) . بلغ فيه الغاية في الإتقان)[1] .

وممن ساهم بالتأليف فى التراجم والطبقات عثمان بن ربيعة (ت 310هـ/ 922م) الذى صنف كتابه "طبقات الشعراء بالأندلس"[2] ، وألف محمد بن هشام بن عبد العزيز (ت 340هـ/ 951م) كتاباً فى أخبار الشعراء بالأندلس[3] ، ويأتى محمد بن حارث الخشنى (ت 361هـ/ 971م) بكتابين مهمين فى الطبقات أحدهما يعرف "بقضاة قرطبة" والآخر "بطبقات الفقهاء والمحدثين". ويعتبر الخشنى من أبرز مؤرخى الطبقات فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى رغم أنه قيروانى المولد، لكنه حل بمدينة قرطبة ، وتتلمذ على كبار علمائها[4] ، وقد اعتمد الخشنى فى كتابه **"قضاة قرطبة** " على مجموعة من الوثائق المهمة منها الخطابات المتبادلة بين الحكام والقضاة .[5] . مما يؤكد على أهمية الوثائق كأحد مصادر التدوين التاريخى .

ويعد كتاب "طبقات النحويين واللغويين" للزبيدى (ت 380هـ/ 990م) من أهم الكتب التى تناولت الحياة الاقتصادية، والثقافية التى عاشها العلماء والحكام، فقد كان واحد عصره فى علم النحو، بالإضافة إلى علم السير والأخبار. وعلى هذا فإن الزبيدى يعتبر من الأعلام الذين طوروا الكتابة فى الطبقات بالأندلس[6]. ويأتى فى الأهمية

(1) – الزبيدي : طبقات، ص309 .

(2) الحميدى: الجذوة، ص 305; الضبى: البغية، ص 411.

(3) الحميدى: المصدر السابق، ص 95; وانظر : الضبى: البغية، ص 139.

(4) الحميدى: الجذوة، ص 53; الضبى: المصدر السابق، ص 71; بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص 309; عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربى، ص 19.

5) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص 9 ،20 ،21 ،القاهرة 1966 .

(6) انظر ترجمته فى الحميدى: الجذوة، ص 46; الضبى: البغية، ص 46; ابن خلكان: وفيات الأعيان، 4/ 372.

نفسها ابن جلجل (ت 384هـ/ 994م) صاحب كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" وهو من الكتب الهامة فى تاريخ العلم، حيث يتضمن تراجم لأطباء الأندلس وحكمائها مع عدد من الأطباء الإغريق والروم والعرب من غير الأندلسيين[1] ، وقد اعتمد ابن جلجل فى كتابه **"طبقات الأطباء والحكماء** " على عدد من الكتب التى ترجمت فى عصره ، ومن أهمها كتاب "باولوس أورسيوس " الذى يذكره دائماً ابن جلجل باسم "هروشيوش " [2] وكتاب "الحشائش لديسقوريدس" [3] كذلك اقتبس من كتاب أبى قراط وأفلاطون[4]، واعتمد فيما يخص عصره على الأخبار المروية عن طريق السماع ،فاعتمد فى أخبار المشارقة على العلماء المعاصرين له ،الذين رحلوا إلى المشرق وعادوا إلى الأندلس بالكثير من الروايات [5]، وفى تراجم أهل إفريقية اعتمد على من رحل إلى هذا القطر وعاد إلى الأندلس يحكى ما رآه[6].

وهناك من كتب التراجم التى اهتمت بكتابة سيرة الشخصيات المتميزة فى المجتمع، وربما اهتمت بالترجمة للأسر والبيوت الحاكمة، أو بتدوين مشاهير العلماء وإنجازاتهم فى كافة نشاطات الحياة العلمية والإدارية، والسياسية، ولم تستثن الكتابة عن فئات المجتمع الفقيرة، والمهن التى يعملون بها ، وإذا كان المؤرخون الغربيون ينتقدون حركة تسجيل التاريخ عند مختلف الأمم بسبب تركيزها فقط على حياة الملوك

(1) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط2، 1985.

Vernet, Juan: Estudios sobre historia de la ciencia medieval, Barcelona, 1979, p. 470 ; بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص 522.

2) ابن جلجل :طبقات الأطباء والحكماء ،ص2 ،القاهرة 1955 .

3) المصدر السابق ، المقدمة ص ط

4) ك . بويكا : المصادر العربية فى الأندلس (القرن السابع وحتى الثلث الأول من القرن الحادى عشر الميلادى ) ترجمة : نايف أبو كرم ، دار علاء الدين ، ط1، دمشق ، 1999م، ص 129 .

5) انظر على سبيل المثال ابن جلجل : المصدر السابق ص 63 ،65 .

6) نفسه ، ص 107 .

والقادة العسكريين وحروبهم بديلا عن تاريخ الثقافة والمهن، فإن التراث العربى الإسلامى يمدنا بالنموذج الرائد لرصد حياة الناس وإبداعهم[1].

وممن اهتم بالتأليف فى تاريخ المشاهير عبد الله بن محمد بن مغيث (ت 352هـ/ 693م) الذى ألف كتاباً عن شعراء الخلفاء من بنى أمية فى المشرق والأندلس وأشعارهم، وذلك بتكليف من الحكم المستنصر[2] ، وفى الموضوع نفسه ألف "أبو بكر بن عبادة بن ماء السماء" (ت 419هـ/ 1028م) كتاباً عن "أخبار شعراء الأندلس" وهو من فحول الشعراء بالأندلس[3] ، وكتب عيسى بن أحمد بن محمد الرازى (ت 379هـ/ 191م) كتاباً عن تاريخ الحجاب للخلفاء بالأندلس، وهو يختص بالحجاب ويشمل ملابسات تعيينهم، والأمراء فى عهدهم، وكيفية معاملتهم[4].

وذاعت شهرة ابن الفرضى (ت 403هـ/ 1012م) [5] من خلال كتابه "تاريخ علماء الأندلس" وهو يؤرخ لفقهاء الأندلس ولعلمائها ورواتهم[6]، ويثنى الدارسون عليه، ويعتبرون كتابه إبداعاً وابتكاراً فى هذا النوع من الكتابات التاريخية[7].

---

(1) محمد الدعمى: العرب أول من وضع الموسوعات الإعلامية بحياد وأمانة، ص 69، مجلة تراث، عدد81، السنة السابعة، الإمارات، 2005م ; وانظر : فاروق عمر فوزى: التدوين التاريخى، ص 162.

(2) الحميدى: الجذوة ، ص 253; وانظر : الضبى: البغية، ص 333.

(3) الحميدى: الجذوة ، ص 293; وانظر : الضبى: البغية، ص 396; ابن تغرى بردى: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، لجنة تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، 2008م ، 50/7 ; بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص 247.

(4) ابن الأبار: الحلة السيراء، 1/ 138; بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص 235; محمد عبد الحميد عيسى: المدرسة التاريخية فى الأندلس، ص 42.

5 هو : عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي: مؤرخ حافظ أديب . ولد بقرطبة، وتولى قضاء بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني . ورحل إلى المشرق سنة 382 هـ ، فحج وعاد، فاستقر بقرطبة إلى أن قتله البربر يوم فتحها، شهيداً في داره سنة 403هـ ، ومن مصنفاته تاريخ علماء الأندلس ، وكتاب المؤتلف والمختلف في الحديث ، وكتاب المتشابه في أسماء رواة الحديث وكناهم ، وكتاب أخبار شعراء الأندلس . أنظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، 178/17-180.

(6) ابن حيان: المقتبس، 30/5; وانظر : الحميدى: جذوة المقتبس ، ص 254 ; الضبى: بغية الملتمس ، ص 334; بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص 313.

(7) Pellat, Charles: The Origin and Development of Historiography in Muslim spain, Print in Historians of the Middle east, Edited by Bernard lewis, p. M. Holt. Oxford. University press, 1952. p. 123.

ويعد كتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي من كتب الرجال التي تحدثت عن علماء بلد معين في فترة محددة ، حيث عُني هذا الكتاب بنخبة من علماء المجتمع الإسلامي بالأندلس منذ أن دخلها الإسلام وحتى نهاية القرن الرابع الهجري ، وبالرغم من كون هذا الكتاب يمثل المحاولة الأولى لهذا النمط من الكتابة التاريخية بالأندلس إلا أنه جاء ضافياً ومهماً في موضوعه ، ولهذا عد الدكتور حسين مؤنس ابن الفرضي شيخ أصحاب معاجم التراجم الأندلسية ومقرر أصول هذا الفن الذي اتصل في الأندلس والمغرب بعد ذلك قروناً طويلة(1) ، كما عده المستشرق الأسباني آنخل جنثالث بالنثيا بأنه أقدم معجم رجال فى الأندلس (2) ، وقد لقي هذا الكتاب قبولاً عند عدد من مؤرخي وكتاب الأندلس كالحميدي(3)، وابن عميرة المشهور بالضبى (4) ، وغيرهم ، وغير الأندلسيين كالذهبي(5)، ولعل هذا التميز الذي حظي به هذا الكتاب وتلك المنزلة العالية التي تبوأها من الأسباب القوية التي جعلت شيخ مؤرخي الأندلس أبا مروان بن حيان يقول عن مؤلفه ابن الفرضي : ( لم ير مثله بقرطبة في سعة الرواية ، وحفظ الحديث ، ومعرفة الرجال ... )(6).

ويرجع انتشار هذا الكتاب واعتماد جل مؤرخى الأندلس الذين أتوا بعد ابن الفرضى عليه ; إلى أن مؤلفه اتكأ على مصادر متنوعة المعلومات حين تدوينه لمادته العلمية . مما أضفى على الكتاب عددا من السمات العلمية المتميزة كالعمق ، والدقة، وسعة الاطلاع ، مع الشمولية ، والإحاطة بالجزئيات الصغيرة التي تهم أولئك العلماء.

1 أنظر : المؤرخون والجغرافيون ص 99.
2 أنظر : تاريخ الفكر الأندلسي ص 271
3أنظر : جذوة المقتبس ص 238.
4 أنظر : بغية الملتمس ، ص 322.
5 الذهبى : سير أعلام النبلاء ، 17 / 178.
6 الذهبي : تذكرة الحفاظ ، 3 / 1076

وقد ذكر ابن الفرضي أن السبب في تأليفه لكتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم هو جمع فقهاء الأندلس ، وعلمائها ، ورواتها ، وأهل العناية بها في كتاب مختصر على حروف المعجم ، وقد بين في مقدمة هذا الكتاب أنه كان ينوي تأليف كتاب موعب على المدن يشتمل على الأخبار، والحكايات لكنه عاقته عوائق عن بلوغ المراد فيه فجمع هذا الكتاب مختصرا([1]).

ويبدو أن ابن الفرضي قد شعر بالرضى عما أنجز في هذا الكتاب ، وأنه قد تحقق له الكثير مما كان يهدف إليه ويريده ، فقد قال : حينما أثنى على عبد الرحمن بن الزامر :

( وقلما كتبت بالأندلس عن أحد إلا وقد كتب عنه )([2]) ، وقد وضح ذلك في مقدمته حينما قال : ( ولم أزل مهتماً بهذا الفن معتنياً به ، مولعاً بجمعه والبحث عنه ومسائلة الشيوخ عما لم أعلم منه : حتى اجتمع لي من ذلك -بحمد الله وعونه- ما أملته ، وتقيد في كتابي هذا من التسمية ما لم أعلمه يقيد في كتاب ألف في معناه في الأندلس قبله )([3]) ، وهذا الشعور بالرضا والذي أبداه ابن الفرضي ، كان الحميدي ( ت 488هـ ) على عكسه حينما ألف كتابه جذوة المقتبس ، حيث اعترف بالتقصير ورغب في إعادة النظر فيما كتبه لتلافي ما فيه من قصور([4]).

وقد بين ابن الفرضي في مقدمة الكتاب أن مؤلّفه يضم عدداً كبيراً من فقهاء الأندلس وعلمائها ، ورواتها ، وأهل العناية بالعلم منهم مرتبين على حروف المعجم([5]) ثم بين بعد ذلك أنه حاول ما أمكنه أن يعرض ( أسماء الرجال ، وكناهم وأنسابهم ، ومن كان يغلب عليه حفظ الرأي منهم ، ومن كان الحديث والرواية أملك به وأغلب

---

1ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ص 8-9.
2نفسه ، ترجمة 801. .
3 نفسه ، ص9.
4 الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 3-4.
5ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ص 8.

عليه ومن كانت له إلى المشرق رحلة ، وعمن روى ، ومن أجل من لقي ؟ ومن بلغ منهم مبلغ الأخذ عنه ، ومن كان يشاور في الأحكام ويستفتى ، ومن ولي منهم خطة القضاء ، والمولد والوفاة )[1].

وهذا المنهج الذى سلكه ابن الفرضى في التأليف هو ما اعتاده كثير من المؤلفين المعاصرين أو اللاحقين لابن الفرضي والذين عنوا بالترجمة للرجال والمحدثين والفقهاء سواء من المشارقة أو المغاربة والأندلسيين ، فمن المعاصرين له الحافظ أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني ( ت 446هـ ) في كتابه الإرشاد في معرفة علماء الحديث[2] ، ومن اللاحقين الإمام الذهبي (ت748هـ ) في كتابيه " تذكرة الحفاظ " ، و" سير أعلام النبلاء" ; وأبو الحسن البناهي ( ت بعد سنة 794هـ ) في كتابه المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا والمعروف بتاريخ قضاة الأندلس[3] .

ولعل أقرب المؤلفين لمنهج ابن الفرضي ابن بشكوال في صلته ، ويبدو هذا واضحاً في معظم التراجم التي تحدث عنها[4]، وكذلك القاضي عياض في ترتيب المدارك[5]. لكن هؤلاء جميعاً خالفوا ابن الفرضي في الاختصار ، حيث جاء حديثهم أكثر تفصيلاً

---

1نفسه ، ص9.

2أبو يعلى القزويني : الإرشاد فى معرفة علماء الحديث ، ص 155-156.

3خصص المؤلف هذا الكتاب لخطة القضاء وسير بعض القضاة في الأندلس وكان حين حديثه عن القضاة يعرف بالشخص ومولده ، ووفاته ، وشيوخه ، وطلبة العلم وغيرها من القضايا التي يذكرها ابن الفرضي ، وإن كان يبسط القول فيهم بخلاف ابن الفرضي الذي كان يجنح غالباً إلى الاختصار. أنظر مثلاً ترجمة القاضي ابن زرب ص 77-82.

4انظر على سبيل المثال ترجمة رقم 469 ، 598 ، 571 ، كذلك في ترجمته لابن الفرضي رقم 273 وغيرها.

5انظر على سبيل المثال ترجمته لعبد الملك ابن زونان ،2 / 20-21، وابن وافد ، 2 /668، محمد بن عبد الله بن عبد البر ، 2 /419 وغيرهم ، وبالإضافة إلى ما سبق فإن القاضي عياض يبين النزعة المذهبية لهؤلاء العلماء ومدى قربهم وعلاقتهم بالمذهب المالكي.

وبسطاً منه ، إذ التزم جانب الاختصار ، فلم يدخل في تفصيلات تخرجه عن هذا النهج الذي بينه في مقدمته.

أما المنهج الذي سار عليه ابن الفرضي في ذكر أولئك العلماء فقد ذكرهم مرتبين حسب حروف المعجم بغض النظر عن أي اعتبار آخر ، كالمكانة العلمية ، أو المنزلة الاجتماعية ، أو الترتيب الزمني أو غيرها ، وهذا النهج في التأليف لم يكن ابتكاراً خاصاً به ، بل عمل به عدد من الكتاب والمؤلفين مثل الإمام البخاري ( ت 256هـ ) في كتابه التاريخ الكبير ، وابن أبي حاتم ( ت 327هـ ) (1) في الجرح والتعديل ، وابن حبان ( ت 354هـ ) (2) في كتابيه الثقات ، والمجروحين ، وغيرهم ، وقد سار على هذا النهج عدد من المؤلفين الذين جاؤوا بعد ابن الفرضي مثل الحميدي في جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، وابن عميرة في كتابه بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، وابن

---

1 هو الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود الحنظلي الرازي، المشهور بابن أبي حاتم . ولد سنة أربعين ومائتين. سمع من أبيه وأبي زرعة، وابن وارة، والحسن بن عرفة، وعبد الله بن أحمد، وصالح بن أحمد، ويونس بن حبيب، ويونس بن عبد الأعلى، وغيرهم كثير. روى عنه ابن عدي، وأبو أحمد الحاكم، وأبو الشيخ الأصبهاني، والقاضي يوسف الميانجي، وعلي بن محمد القصار، وغيرهم. واشتغل أول طلبه للعلم بتعلم القرآن وحفظه، ثم بدأ بتعلم الحديث. ابن عبدالهادى : طبقات علماء الحديث ، 3/17 وما بعدها .

2 هو الإمام العلاّمة الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سهيد بن هديَّة بن مرة بن سعد بن يزيد التميمي الدارمي البستي . ولد سنة بضع وسبعين ومائتين ، توفي ابن حبان بسجستان بمدينة بست في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وهو في عشر الثمانين. الذهبى : سير أعلام النبلاء ، 16/93-104.

بشكوال في الصلة ، بل إن ابن الأبار المتوفى سنة ( 658هـ ) ألف كتاباً أسماه بالمعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي. (1).

وقد رتب ابن الفرضي مؤلفه حسب حروف الهجاء إذ بدأ بحرف الألف وانتهى بحرف الياء حسب الأبجدية المشرقية(2) حيث ذكر تحت كل حرف أسماء العلماء من أهل الأندلس مرتبين حسب الحرف الأول من الاسم فقط ، ففي حرف الألف بدأ بإبراهيم وانتهى بأيوب وهكذا ، وحينما ينتهي من ذكر الرجال في كل حرف يذكر

---

1 هو أبو علي حسين بن محمَّد بن فِيَّرة بن سكرة الصَّدَفي)١ (السرقسطي، المعروف بابن سكرة، ولد سنة (٤٥٢هـ)، وأخذ عن أبي الوليد الباجي بسرقسطة، وأبي محمَّد ابن عبد الله بن محمَّد بن إسماعيل، وأخذ عن شيخ المحدثين ببلنسية أبي العباس العذري، وبالمَرِيَّة عن أبي عبد الله محمَّد بن سعدون القروي، وله رحلة إلى المشرق، أخذ العلم عن كبار مشايخ مكة وبغداد ومصر وغيرها. ولي القضاء بمرسية مكرهًا فترةً ثمَّ أعفي منه بعد اختفائه، وجلس للتعليم ونشره، ومن تلاميذه الذين روَوْا عنه: القاضي عياض، وابن صابر، والقاضي محمَّد بن يحيى الزكوي وغيرهم، خلَّف أبو علي كُتُبًا نفيسة، وفي ملحمة قُتَنْدَة استشهد سنة ٥١٤هـ. ابن بشكوال : الصلة ، 144/1 ; الضبى : بغية الملتمس ، ص269.

2هناك منهجان في ترتيب حروف الهجاء هما الأبجدية المشرقية ، والأبجدية المغربية وتتفقان في ترتيب الحروف الأولى من الألف إلى الزاي ثم تختلفان حيث تأتي الحروف حسب الأبجدية المشرقية كما يلي : س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي . أما ترتيب أهل المغرب فجاء بعد حرف الزاي على النحو التالي : ط ، ظ ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، س ، ش ، هـ ، و ، ي . وقد أشار كل من : أبى الوليد الباجي وابن عبد الملك المراكشي إلى أن المنهج المشرقي في ترتيب الحروف هو المعمول به في الأندلس آنذاك . أنظر : الباجي: التعديل والتجريح ،273/1 ; ابن عبدالملك المراكشي : الذيل والتكملة ج1 ق1 ص9.

الأفراد ، والغرباء من الحرف المتقدم وهذا المنهج هو المعمول به عند الأندلس في تلك الفترة([1]).

ولا شك أن ابن الفرضى شيخ ابن حزم كان له من التأثير على تلميذه ما دفعه للتفنن فى هذا الجنس من أجناس الكتابة التاريخية على صغر مؤلفاته فى هذا المضمار ، ومن جملة ما قدمه ابن حزم فى هذا المجال :

1- **نقط العروس في تواريخ الخلفاء**([2]) وسمها ابن حيان " نقط العروس في نوادر الأخبار " ([1]) وذلك عنوان أدل على محتواها من العنوان الذي ورد على مخطوطة ميونخ. وفي نفح الطيب (نقط العروس في تواريخ الخلفاء) .

---

1 الباجي : التعديل والتجريح ، 273/1 ; وانظر : ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة ج1 ق1 ص9 .

2 قام بشرها المستشرق زيبولد (Seybold) في مجلة مركز الدراسات التاريخية بغرناطة سنة 1911 وأعاد نشرها أستاذنا الدكتور شوقي ضيف بمجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة (العدد 13 سنة 1951) عن نسخة بايزيد عمومية وهي براوية الحميدي تلميذ ابن حزم وصاحبه ; وقد ترجمت هذه الرسالة إلى الإسبانية عن نشرة زيبولد وقام بذلك الأستاذ لويس سيكو دي لوثينا (Luis Seco de Lucena) سنة 1941 في مجلة جامعة غرناطة (ثم جمعت في كتاب ونشرت مع النص العربي الذي حققه زيبولد في بلنسية 1974). ولما اطلع دي لوثينا على نشرة الدكتور شوقي ضيف، كتب مقالا بمجلة الأندلس (العدد 19 سنة 1964 ص 23 (38 - درس فيه نصا عن غالب القائد (هو الفقرة: 76 من هذه الطبعة) وقارنه بنص عن غالب نفسه ورد في أعمال الأعلام، وهذا النص لم يرد في نسخة ميونخ. ويبدو أن سعد الدين بن شنب لم يطلع على ما كتبه دي لوثينا إذ عاد إلى الموضوع نفسه في مقال له بعنوان " Arus d Ibk el - Khatib a - t - il emprunte au Naqt al - : ibn. Hazm la relation de la mort de Ghalib al - Nassiri (RHCM4 (1968) pp.17 - 19)

وقد كتب أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري مقالا عن هذه الرسالة بعنوان " التعريف بنقط العروس " نشر بمجلة الدعوة السعودية، العدد: 491.

وتجسد رسالة " نقْط العروس" أبرز صور الدقة العلمية في منهج البحث التاريخي عند ابن حزم . فقد لجأ للإحصاءات بطريقة عجيبة لم نجد لها مثيلاً قطّ في كتب المؤرخين, كما يقول الأديب والمؤرخ شوقي ضيف أحد محققى هذه الرسالة العظيمة.(2) فقد حشد فيها كثيرا من الحقائق التاريخية في لوحة بديعة, مشحونة بالإحصاءات بطريقة ظريفة بديعة. واهتم فيها ابن حزم بلغة الأرقام وجعلها من أدوات بحثه التاريخية في سابقة لا نظير لها بين المؤرخين ... وهو بمنهجه هذا يثبت صدق برهانه وسعة اطلاعه (3).

ونظرا لأهمية هذه الرسالة فقد تركت أثرا كبيرا على مؤرخى وعلماء الأندلس وغيرهم ممن اهتموا بها ونقلوا عنها ، ومن هؤلاء :

1- ابن حيان فى المقتبس ، والمتين .
2- رواها الحميدي تلميذ ابن حزم، واستفاد منها فى كتابه جذوة المقتبس .
3- رواها أبو أسامة يعقوب ابن الفقيه أبي محمد وعنه أخذها البطروجي الحافظ(4).
4- عرفها ابن بسام صاحب الذخيرة ، واستفاد منها فى ذخيرته (5) .
5- ذكرها ابن سعيد في الرسالة التي ذيل بها على رسالة فضل أهل الندلس لابن حزم (6) ، وكانت أحد مصادره في كتابه المغرب فى حلى المغرب حيث نقل منها كثيرا فيما

---

1 ابن حيان : المقتبس 37/5، 132.
2 شوقى ضيف : مقدمته للرسالة ، ص45.
3 منشد مجيد خلف: ابن حزم ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية ، دار ابن حزم ، بيروت، 2002م ، ص.206.
4 معجم أصحاب الصدفي ، ص 29.
5 انظر الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ص433.
6 المقرى : نفح الطيب، 182/3.

يخص الأحكام على الحكام ، وإحصاء ما للحكام من الأبناء ، وذلك فى ترجمته للحكم الربضى ، وابنه عبدالرحمن[1] .

6- ذكرها ابن خلكان بقوله: " وله كتاب صغير سماه نقط العروس مع كل غريبة نادرة وهو مفيد جدا " ، وقد اعتمد عليه ابن خلكان ونقل منه [2] .

7- نقل بعض نصوص هذه الرسالة لسان الدين ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام[3] .

8- نقل عنها النويري في نهاية الأرب [4] .

9- نقل عنها صاحب مفاخر البربر [5] .

وقد كتبت هذه الرسالة في سنة 432 هـ إذ يذكر ابن حزم فيها محمد بن عيسى بن مزين صاحب شلب بقوله : " الآن" [6] وابن مزين توفي في العام المذكور، كما يذكر مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وقتله لعمه محمد [7]، وكان ذلك في شعبان من ذلك العام [8] ; ولم يذكر في الألقاب المضافة إلى الدولة لقب يمن الدولة أحمد بن محمد صاحب البونت، مع أنه نزل عنده وحظي برعايته وقد ظل يمن الدولة حاكما حتى 434 ، ولكن ابن حزم في الرسالة التي كتبها له في فضل الأندلس لا يورد له لقبا [9].

---

1 أنظر : المغرب ، 1/45،44.
2 أنظر : وفيات الأعلام ، 3/ 326; 5/ 22.
3 أنظر : أعمال الأعلام: 14، 26، 63، 132، 142.
4 أنظر : نهاية الأرب ، 22/ 93.
5 أنظر : مفاخر البربر، ص 48.
6 أنظر : نقط العروس ، رسائل ، 2/88.
7 أنظر : نقط العروس ، رسائل ، 2/91.
8 ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، 9/ 488.
9 أنظر : رسالة فى فضل الأندلس ، رسائل ابن حزم ، 2/172.

ويبدو أن الرسالة أدخل عليها بعض التعديلات إذ إننا نجد ابن حزم يذكر القائم العباسى بن القادر بقوله : " له منذ ولى ثلاثون سنة " [1] ، ومعروف أن القائم تولى فى العام 422هـ [2] فإذا أضفنا إلى هذه السنة ما حدده ابن حزم من زمن وهو الثلاثين عاما يكون الزمن 452هـ ، وهو ما يشير إلى أن ابن حزم أجرى تعديلا على الرسالة فى هذا التوقيت .

**2-رسالة في أمهات الخلفاء [3] :**

وهذه الرسالة يبدأها ابن حزم بذكر أم النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم امهات الخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن بن على ، ثم أمهات الخلفاء من بنى أمية بدءً من معاوية بن أبى سفيان ، حتى مروان بن محمد . ثم أمهات بنى العباس بدءً من السفاح حتى المطيع ، وذكر أنه لم يدر اسم أم الطائع . ثم ينتقل إلى الأندلس فيذكر أمهات الأمراء والخلفاء بها بدءً من عبدالرحمن الداخل حتى المعتد بالله [4].

**3**-رسالة أسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد من العدد ، وفيها استخدم ابن حزم المنهج الإحصائى حيث ذكر من روى عن النبى من الصحابة رضوان الله عليه حديثا فما فوقه . فذكر أصحاب الألوف فى رواية الأحاديث وما زاد ، ثم ذكر أصحاب

---

1 أنظر : نقط العروس ، رسائل ، 2/65.

2 مغلطاى : مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق يحيي بن حمزة الوزنة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، 1423هـ/2003م ، ص91.

3 قام بنشرها الدكتور صلاح الدين المنجد بمجلة المجمع العلمي العربي ، 1959م ، المجلد: 34، الجزء الثاني، ونص الرسالة يشغل الصفحات: 294 – 299 ، ونشرها الدكتور إحسان عباس بالجزء الثانى من رسائل ابن حزم ، 2/119-122.

4 أنظر : رسائل ابن حزم / 2/119-122.

الألفين وما زاد ، ثم ذكر أصحاب الألف وما زاد ثم ذكر أصحاب المئين .... ثم اصحاب العشرات ... إلى أن وصل إلى أصحاب الأفراد ...(1).

4-رسالة أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم فى كثرة الفتيا. وفيه أيضا اتبع ابن حزم منهجا إحصائيا حيث ذكر مائة واثنتين وستين صحابيا وصحابية منهم المكثرون فى التفيا وهم سبعة ، وثلاثة عشر متوسطون ، والباقون مقلون جدا (2) ثم ذكر المفتون بعد الصحابة من أهل مكة ، ومن أهل المدينة ، ومن أهل البصرة ، ومن أهل الكوفة ، ومن أهل الشام ، ومن أهل مصر ، إلى أن يذكر اثنين من أهل عصره بلغوا رتبة الاجتهاد أحدهما شيخه مسعود بن سليمان ابا الخيار ، والآخر صاحبه ابن عبدالبر النمرى (3).

**5**-تواريخ أعمامه وأبيه وأخواته وبنيه وبناته مواليدهم وتاريخ من مات منهم فى حياته وهو من كتبه المفقودة ، ومن عنوانه نعرف أن ابن حزم كان له جماعة من الأعمام ، والأخوات ، والبنات ، وفيما يخص والده وأولاده الذكور فقد فصلنا عنهم القول فى كتابنا : " ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى " (4).

6-الشعراء المقدمين. وهذا الكتاب وقف عليه الحميدى ونقل عنه بخط شيخه ابن حزم تراجم وأشعار بعض الأفراد كإسماعيل بن إسحاق المنادى (5) ، ومحمد بن جهور بن عبيد الله بن أبى عبدة الوزير (6) ، ومحمد بن الحسن المذحجى المعروف بابن الكتانى شيخ ابن حزم فى المنطق والطب ، وكان شاعراً وأديباً . نقل الحميدى بعض

1 أنظر : أسماء الصحابة الرواة ، ص13.
2 أنظر : أصحاب الفتيا ، ص73.
3 أنظر : أصحاب الفتيا ، ص74-88.
4 أنظر : ابن حزم الظاهرى ، ص17-73 ، 118.
5 أنظر : جذوة المقتبس ، ص143 ترجمة 297.
6 نفسه ، ص42 ترجمة 33.

شعره عن ابن حزم[1] ، ومحمد بن عبدالعزيز بن المعلم [2] ، ومحمد بن مطرف بن شخيص من أعيان الشعراء المقدمين وذكر الحميدى طرفا من شعره عن ابن حزم [3].

7- رسالة مراتب العلماء وتواليفهم فى كراسة [4].

8-الإنصاف فى الرجال .

9-مختصر كتاب الساجى فى الرجال مرتب على الحروف [5].

**10-** إجازة لتلميذه شريح .

**11-** إجازة لتلميذه الحسين بن عبدالرحيم .

**12-** كتاب طبقات القراء ابتدأه من الصحابة نقل منه ابن حجر فى كتابه الإصابة[6].

---

1 نفسه ، ص44 ترجمة 35.

2 نفسه ، ص63ترجمة101.

3 نفسه ، ص81 ترجمة 144.

4 الذهبى : سير أعلام النبلاء ، 18/ 193-197 ; وانظر : عبدالباقى السيد : ابن حزم ، ص351،352.

5 الذهبى : نفس المصدر والمكان ; وانظر : عبدالباقى السيد : ابن حزم ، ص355.

( 6) ابن حجر ، الإصابة ، 2/159.

## المبحث الثالث : التاريخ المحلي (تاريخ المدن)

هو صنف من التراجم عرفه الأندلسيون على نطاق واسع في مختلف مراحل حياتهم الثقافية، فكتبوا من هذه التراجم البلدانية والإقليمية العدد الكثير، حتى أن أكثر كور الأندلس وحواضرها قد حظي بتأليف أو أكثر يعرف بمشاهير رجالها في العلم والفكر والرواية ، ولعل رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس وذكر رجالها كانت من أوائل هذا النوع من الكتابة التاريخية الذى نما وازدهر بعده ، واصبح لكل مدينة مصنفا فى تاريخ العلم والعلماء بها .

اهتمم الأندلسيون بالتواريخ المحلية، والتى تميزوا فيها عن إخوانهم المشارقة، ولعل ذلك يرجع إلى ظاهرة اللامركزية التى تميزت بها طبيعة الأندلس، فضلا عن ارتباط المؤرخ الأندلسى واعتزازه بوطنه[1]، حيث كتب معاوية بن محمد بن هشام الشبنسى (ت 298هـ/ 910م) كتاباً فى "**تاريخ دولة بنى مروان فى الأندلس**"[2].

وممن اهتم من الأندلسيين بالكتابة فى هذا الصنف **أبو عبدا لله محمد بن يوسف بن عبدا لله الوراق** القروي مؤرخ وجغرافي ولد في القيروان في أسرة يرجع أصلها إلى مدينة وادي الحجارة في الأندلس وقد نشأ وترعرع في مدينة القيروان وأصبحت له شهرة واسعة في تاريخ وجغرافية شمال إفريقيا رحل إلى قرطبة في أيام الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله(350هـ -395هـ/961-976م) واتصل بالبلاط الأموي حيث رحب به الخليفة وقربه إليه وعهد إليه بتأليف عدة أعمال تتعلق بتاريخ وجغرافية المغرب العربي وقد أشار ابن حزم الأندلسي إلى هذه المؤلفات ، والتى تتناول مسالك

(1)أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس، ص 72; وانظر : السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون، ص 104.

(2) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، د.م، 1995، 2/ 183.

أفريقية وممالكها ، وأخبار ملوكها ومدنها[1] ، ومنها : كتاب مسالك إفريقيه وممالكها ، وكتب كثيرة في أخبار ملوك إفريقية وحروبهم والقائمين عليهم ، وكتب أخرى في أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة (بصرة المغرب) وغيرها من مدن شمال إفريقيا ، ورغم ضياع هذه الكتب وفقدانها . فقد بقيت نصوصٌ من مؤلفاته ضمن مؤلفات أخرى فعلى سبيل المثال، نجد أن أبا عبيد البكري قد ضمن كتابه المسالك والممالك نصوصا كثيرة من كتاب الوراق (مسالك أفريقية وممالكها) وأشار إلى الوراق صراحة في كثير من ثنايا كتابه[2] ، كما أشار ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م) إلى بعض النصوص التي ذكرها الوراق[3] .

وممن صنف فى التاريخ المحلى واشتهر به **موسى بن محمد بن موسى بن حدير المعروف بالزاهد** (ت320هـ/932م) وكان إخباريا دون أخبار الأسرة الأموية في الأندلس ، وكان الأمير عبد الله يحثه على تدوين المهم مما كان يدور في مجلسه أثناء المذكرات[4].

ويلحق بالمؤرخ السابق مؤرخ آخر برز فى التدوين التاريخى هو **محمد بن عمر بن لبابة يكنى عبد الله بن لبابة الفقيه** (225 – 314هـ/840 – 927م) كان حافظاً لأخبار الأندلس مليئاً بها[5].

وممن انشغل بهذا النوع من الكتابة أحمد بن محمد الرازى (ت 324هـ/ 936م) وله كتاب فى "**أخبار ملوك الأندلس، وخدمتهم وركبانهم وغزواتهم**"[6] ، وكتاب "صفة

---

1 أنظر : رساله في فضائل الأندلس، رسائل ابن حزم / 2/ 175.

2 أبو عبيد البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيه والمغرب ، نشر دي سلان ، الجزائر، 1857م، ص4، 6، 9، 10،12، 28،52، 58،60، 68، 70، 91 .

3 ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، نشر كولان وليفي بروفنسال ، ليدن، 1928،1/124،26- 129،139، 179،180،223 .

4 – ابن حيان، المصدر السابق، ص34 –35 .

5 – ابن الفرضي، المصدر السابق، 2/ 34 .

(6) ابن حيان: المقتبس، تحقيق: ب. شالميتا، ف. كورينطى، المعهد الأسبانى العربى للثقافة، مدريد، 1979 ، 5/ 30; الحميدى: الجذوة، ص 104; الضبى: البغية، ص 151; بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص 233.

قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها"[1] ، وألف محمد بن يوسف أبو عبد الله الوراق (ت 362هـ/ 972م) كتاباً عن مسالك إفريقية وممالكها" وألف أيضاً فى أخبار ملوكها وحروبهم، والغالبين عليهم كتباً كثيرة وذلك بتكليف من حاكم الأندلس الحكم المستنصر[2]. كما خصص إسحق بن سلمة القينى (ت 399هـ/ 1008م) جزءً كبيراً من كتابه أخبار الأندلس لتاريخ مدينة "رية" وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها[3].

**ومن مصنفات ابن حزم فى هذا النوع :**

**رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها** :هكذا وسمها ابن خير في فهرسته [4]، كما سميت أحيانا "بيان فضل الأندلس وذكر علمائه"،وقد أورد نصها المقري في نفحه

(1) الحميدى: الجذوة، ص 104; الضبى: البغية، ص 151، وقد ذكر بروفنسال أن كتاب صفة قرطبة وخططها وكتابات الرازى تعتبر من النسيج الأساسى لكل الجغرافيين العرب اللاحقين على الرازى، وقد أخذوا منه الكثير.
Lévi-Provencal: La dèscription De L'Espagne de Razi, Al-Andalus, Vol. 18, Paris, 1953, p. 69.

(2) الحميدى: الجذوة، ص97; ابن الأبار: التكملة، 1/ 294; حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، مكتبة مدبولى ، ط2، القاهرة ، 1986 م ، ص 73; أحمد رمضان أحمد: تطور علم التاريخ الإسلامى حتى نهاية العصور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1989م ، ، ص175.

(3) الحميدى: الجذوة، ص 169; الصفدى: الوافى بالوفيات ، فرانز شتاينر بفيسبادن، شتوتجارت ، ط2، 1992م ، 8/413.

( 4) أنظر : فهرسة ابن خير، ص 226 ; وقد استخرج العلامة إحسان عباس هذه الرسالة من نفح الطيب للمقرى ونشرها في كتابه " تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة " ، الطبعة الأولى ، 1960م ، ص 292- 313، ثم نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد مع رسالة الشقندي تحت عنوان: فضائل أهل الأندلس وأهلها ، بيروت ، 1968م ، وللأستاذ جعفر ماجد بحث حولها نشره في حوليات الجامعة التونسية عدد 13 ،1976م بعنوان " رسالة ابن الربيب ورد ابن حزم" استفدنا منه فى كتابنا ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى .

[1]، وذكر أن الحسن بن محمد التميمي القيرواني المعروف بابن الربيب [2] كتب إلى أبي المغيرة ابن حزم (ابن عم الفقيه) رسالة يذكر فيها تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضلائهم وسير ملوكهم ويقول فيها " : فإن قلت إنه كان ذلك من علمائكم وألفوا كتبا لكنها لم تصل إلينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لأنه ليس بيننا وبينكم إلا روحة راكب أو دلجة قارب، لو نفث ببلدكم مصدور، لأسمع ببلدنا في القبور، فضلا عمن في الدور والقصور، وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان ابن عبد ربه منكم الذي سماه ب " العقد "، على أنه يلحقه فيه بعض اللوم إذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده، ومناقب ملوكه يتيمة سلكه....[3]. "

وقد أورد ابن بسام فصولا من رد أبي المغيرة على القروي قال في بعضها: " وأنا أعلم أن عندكم لنا تواليف تطيرون بها " ويقول ابن بسام إن أبا المغيرة خرج إلى التطويل، وختم رسالته بذكر جملة من تواليف أهل الأندلس " [4].

اطلع ابن حزم على رسالة ابن الربيب بعد وفاة صاحبها فكتب رسالته هذه في الرد عليها، والأرجح أن رسالة ابن الربيب حفزته إلى أن يضع رسالة مطولة في تاريخ الفكر الأندلسي فجاءت هذه الرسالة.

**ويبين ابن حزم دوافع تصنيفه رسالته فى فضل الأندلس بقوله** : " أما بعد يا أخي يا أبا بكر سلام عليك، سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الأميال والفراسخ، وكثرت

---

1 نفح الطيب 3/ 158 - 179.

2 أصله من تاهرت وكان عارفا بالأدب وعلم النسب، قوي الكلام يتكلفه بعض تكلف. أنظر : ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، 1/319.

3 ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول 1/133. ; وانظر : المقري : نفح الطيب ، 3/156 - 158 .
4 ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول 1/139.

الأيام والليالي، ثم لقيك في حال سفرٍ ونقلة، ووادَّكَ في خلال جولةٍ ورحلة، فلم يقضِ من مجاورتك أرباً، ولا بلغ في محاورتك مطلباً. وإني لما احتللت بك، وجالت يدي في مكنون كتبك، ومضمون دواوينك، لمحت عيني في تضاعيفها درجاً فتأملته، فإذا فيه خطاب لبعض الكتّاب من مصاقبينا في الدار، أهل إفريقية، ثم ممن ضمته حضرة قيروانهم، إلى رجل أندلسي لم يعينه باسمه، ولا ذكر بنسبه ، يذكر له فيها أن علماءَ بلدنا بالأندلس، وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف، فإن هِمَمَهم قد قَصَّرتْ عن تخليد مآثر بلدهم، ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم، ومناقب قضاتهم، ومفاخر كتابهم، وفضائل علمائهم، ثم تعدَّى ذلك إلى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيي ذكرهم، ويبقي علمهم، بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه، وحقق ظنه في ذلك، واستدل على صحته عند نفسه، بأن شيئاً من هذه التآليف لو كان منّا موجوداً لكان إليهم منقولاً، وعندهم ظاهراً، لقرب المزار وكثرة السُّفار، وترددهم إليهم، وتكررهم علينا. ثم لما ضمنا المجلس الحافل بأصناف الآداب، والمشهد الآهل بأنواع العلوم، والقصر المعمور بأنواع الفضائل.... أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت .... فرأيته أعزه الله تعالى حريصاً على أن يجاوب هذا المخاطب، وراغباً في أن يبين له ما لعله قد رآه فنسي، أو بعد عنه فخفي، فتناولت الجواب المذكور، بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب قد مات ...([1]).

**ويتضح مما سبق الآتى :**

أولا : أن أبا بكر صاحب ابن حزم كانت له مكاتبات كثيرة بينه وبين ابن حزم ، وله مصنفات ودواوين وقف ابن حزم من خلالها على خبر الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب القيروانى الذى انتقد الأندلس وأهلها .

1 أنظر : رسالة فى فضل الأندلس ، رسائل ابن حزم ، 2/ 171،172.

ثانيا : أن ابا بكر هذا هو محمد بن إسحاق المهلبى الإسحاقى الوزير كما ذكر الحميدى، وكان من أهل الأدب والفضل [1].

ثالثا : أن ابن حزم نقل من كتاب صاحبه معارضات ابن الربيب ورد عليها.

رابعا : أن ابن حزم تشجع لتصنيف هذه الرسالة بعد أن وجد أن صاحب قلعة البونت التى كان فى حضرتها ابن حزم فى حاجة لتصنيف كتاب عن فضل الأندلس .

خامسا : أن رسالة ابن حزم جاءت بعد وفاة ابن الربيب .

سادسا : أن الدافع لكتابة ابن حزم رسالته هذه ، ما عابه أحدهم – الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب– على أهل الأندلس من تقصيرهم في تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم.(2).

وقد وقع خلاف بين المؤرخين حول الرجل الذى صنف ابن حزم له الرسالة فالحميدي قال : إنه خاطب بها صديقه أبا بكر ابن إسحاق، فالرسالة قد أدت الأمرين معا، وفي مطلعها " :أما بعد يا أخي يا أبا بكر... " [3] ، وابن الأبار يذكر أن ابن حزم صنف هذه الرسالة لمحمد بن عبد الله بن أحمد الفهري، يمين الدولة، صاحب البونت (من أعمال بلنسية) وأطال الثناء عليه وعلى سلفه في الرسالة[4].

ولما كانت الرسالة قد ألفت باسم يمين الدولة صاحب البونت فلا بد من أن تكون قد كتبت في الفترة الواقعة بين 421 – 434 وهي الفترة التي تولى فيها يمين

1 أنظر : جذوة المقتبس ، ص40 ترجمة 23.

2 ابن حزم : رسالة فى فضل الأندلس ، رسائل ابن حزم ، 2/ 171 ; وانظر : المقرى : نفح الطيب ، 156/3.

3 أنظر : جذوة المقتبس ، ص42.

4 التكملة لكتاب الصلة ، ص 388.

الدولة الحكم [1] ، وابن حزم لا يذكر له لقبا في رسالته، ولو كنا نعلم في أي عام انتحل ابن قاسم ذلك اللقب لكان تحديد تاريخ تلك الرسالة أدق.

وقد نشر الحميدي معظم فقرات هذه الرسالة في جذوة المقتبس موزعة على التراجم[2]، ولذا يعد نص الجذوة هاما لمقارنته بالصورة التي أوردها المقرى ، ويؤكد على أثر ابن حزم على مؤرخى الأندلس وتأسيسة مدرسة تاريخية عرفت بالحزمية بعد وفاته ، وربما فى حياته أيضا.

وبعد أن يذكر ابن حزم السبب الذي حداه إلى كتابة الرسالة والثناء على من كتبت باسمه يتحدث عن فضائل الأندلس ، وينحى منحى دينيا شأنه شأن كل من كتب عن دولته أو مدينته التى ينتسب إليها ، ومن ثم نراه يربط الأندلس بحديث أم حرام بنت ملحان (وفيه بشر الرسول بأن المجاهدين في البحر كالملوك على الأسرة) فيقول : " وأنا أقول : لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله -صلعم - بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرّة ، لكفى شرفاً بذلك يسرّ عاجله ويغبط آجله[3] .

ولا يخفى ابن حزم عشقه لقرطبة مسقط رأسه فيذكرها مفضلا إياها وأهلها بقوله : : وأما في قسم الأقاليم، فإن قرطبة مسقط رؤوسنا، ومعقّ تمائمنا، مع سرّ من رأى في إقليم واحد، فلنا من الفهم والذكاء، ما اقتضاه إقليمنا .... وقد صدق ذلك الخبر،

1 ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص 208.
2 أنظر : جذوة المقتبس ، ص 67،78.
3 نفسه ، ص172،173.

وأبانته التجربة، فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايا وحفظ كثير من الفقه، والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم .." [1].

ويوجه ابن حزم حديثه لابن الربيب موضحا أنه إذا عاب عائب الأندلس أو قرطبة بقلة التآليف فإن ذلك لو صح لكان منطبقا على القيروان نفسها لأنه لم يؤلف فيها وفي بعض المدن الأفريقية الأخرى إلا محمد بن يوسف الوراق الأندلسي فيقول : " والذي نعاه علينا الكاتب المذكور، لو كان كما ذكر، لكنا فيه شركاء لأكثر أمهات الحواضر، وجلائل البلاد، ومتسعات الأعمال، فهذه القيروان بلد المخاطب لنا، ما أذكر أني رأيت في أخبارها تأليفاً غير " المعرب عن أخبار المغرب " وحاشا تآليف محمد بن يوسف الوراق ، فإنه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى في مسالك إفريقية وممالكها ديواناً ضخماً، وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتباً جمة، وكذلك ألف أيضاً في أخبار تيهرت ووهران وتونس وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها تآليف حساناً " [2].

ويستطرد ابن حزم ليحدد مدلول لفظة " أندلسي " وعلى من تطلق; فيرى أن الأندلسي، سوى المقيم الذي يموت في بلده، هو كل شخص هاجر إلى الأندلس وأقام فيها ومات هنالك، مثل أبي علي القالي، فأما الأندلسي الذي غادر بلده ولم يعد إليه وتوفي في بلاد غريبة فإنه لا يعد أندلسيا مثل محمد بن هانئ ، ومن ثم فهو القائل : " ومحمد – ابن يوسف الوراق – هذا أندلسي الأصل والفرع، آباؤه من وادي الحجارة ، ومدفنه بقرطبة وهجرته إليها، وإن كانت نشأته بالقيروان. ولا بد من إقامة الدليل على ما أشرت إليه هاهنا، إذ مرادنا أن نأتي منه بالمطلب، فيما يستأنف، إن شاء الله تعالى، وذلك أن جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين، دون محاشاة أحد، بل قد تيقنا

1 نفسه ، ص174.
2 نفسه ، ص175.

إجماعهم على ذلك، متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها، ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها إلى أن مات، فإن ذكروا الكوفيين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، صدروا بعلي وابن مسعود وحذيفة رضي الله تعالى عنهم، وإنما سكن علي الكوفة خمسة أعوام وأشهراً ، وقد بقي 58 عاماً وأشهراً بمكة والمدينة شرفهما الله تعالى، وكذلك أيضاً أكثر أعمار من ذكرنا. وإن ذكروا البصريين بدأوا بعمران بن حصين، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر، وأبي بكرة، وهؤلاء: مواليدهم وعامة زمن أكثرهم وأكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف، وجمهرة أعمارهم خلت هنالك. وإن ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية، والأمر في هؤلاء كالأمر فيمن قبلهم. وكذلك في المصريين: عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوي، وفي المكيين: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير ، والحكم في هؤلاء كالحكم في من قصصنا. فمن هاجر إلينا من سائر البلاد، فنحن أحقُّ به، وهو منا بحكم جميع أولي الأمر منا، الذين إجماعهم فرض اتباعه، وخلافه محرم اقترافه، ومن هاجر منا إلى غيرنا فلا حظٌ لنا فيه، والمكان الذي اختاره أسعد به، فكما لا ندع إسماعيل بن القاسم ، فكذلك لا ننازع في محمد بن هانئ سوانا، والعدل أولى ما حُرص عليه، والنصف أفضل ما دُعي إليه، بعد التفصيل الذي ليس هذا موضعه، وعلى ما ذكرنا من الإنصاف تراضى الكل "[1].

ثم يعود ليعرض للكتب التي خلدت مآثر البلدان العريقة كبغداد والبصرة والكوفة فلا يجد منها إلا القليل. فأما البلدان الأخرى مثل الجبال وخراسان وكرمان والسند والري ... الخ فيصرح ابن حزم بأنه لم ير فيها تآليف تخلد ذكر ملوكها وعلمائها وشعرائها، ولو وجد شيء من ذلك لوصل إلى الأندلس كما وصلت كتب من مؤلفات المشارقة وأهل المغرب ، ويعبر عن ذلك بقوله : " وهذه بغداد حاضرة الدنيا، ومعدن

1 نفسه ، ص175.

كل فضيلة، والمحلة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف، والتدقيق في تصريف العلوم، ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدة الأفكار ونفاذ الخواطر، وهذه البصرة وهي عين المعمور في كل ما ذكرنا: وما أعلم في أخبار بغداد تأليفاً غير كتاب أحمد بن أبي طاهر . وأما سائر التواريخ التي ألفها أهلها، فلم يخصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد، ولا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة ، وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبي سفيان، في خطط البصرة وقطائعها، وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر، كريزي النسب، في صفاتها وذكر أسواقها ومحالها وشوارعها. ولا أعلم في أخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة . وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند والري وأرمينية وأذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم في شيء منها تأليفاً قصد به أخبار ملوك تلك النواحي وعلمائها وشعرائها وأطبائها ، ولقد تاقت النفوس إلى أن يتصل بها تأليف في أخبار فقهاء بغداد، وما علمناه علم، على أنهم العلية الرؤساء والأكابر العظماء. ولو كان في شيء من ذلك تأليف لكان الحكم في الأغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تآليفهم، وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الأصبهاني في أخبار أصبهان ، وكتاب الموصلي وغيره في أخبار مصر، وكما بلغنا سائر تآليفهم في أنحاء العلوم. وقد بلغنا تأليف القاضي أبي العباس محمد بن عبدون القيرواني في الشروط واعتراضه على الشافعي رحمه الله تعالى ، وكذلك بلغنا رد القاضي [عبد الله بن] أحمد بن طالب التميمي على أبي حنيفة وتشنيعه على الشافعي ، وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من خوامل تآليفهم دون مشهورها" [1].

ويقف ابن حزم وقفة غير قصيرة نسبيا من تنكر الأندلسيين للعالم المرموق فيهم، ويقدم لنا هنا حديثا ذاتيا عن المرء إذا تميز على نظرائه أو خالفهم في طريقتهم المعهودة،

1 نفسه ، ص176،177.

وكلا الأمرين يمثله ابن حزم ، وفى هذا المقام يقول : " وأما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر " أزهد الناس في عالم أهله " . وقرأت في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال: " لا يفقد النبي حرمته إلاَّ في بلَده " . وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش، وهم أوفر الناس أحلاماً، وأصحهم عقولاً، وأشدهم تثبتاً، مع ما خصوا به من سكناهم أفضل البقاع، وتغذيتهم بأكرم المياه، حتى خص الله الأوس والخزرج بالفضيلة التي أبانهم بها عن جميع الناس، والله يؤتي فضله من يشاء. ولا سيما أندلسنا، فإنها خُصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم، الماهر منهم، واستقلالهم، كثير ما يأتي به، واستهجانهم حسناته، وتتبعهم سقطاته وعثراته، وأكثر ذلك مدة حياته، بأضعاف ما في سائر البلاد. إن أجاد قالوا: سارقٌ مغير، ومنتحل مدع، وإن توسط قالوا: غثٌ بارد وضعيف ساقط، وإن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا: متى كان هذا ومتى تعلم وفي أي زمان قرأ ولأمه الهَبَل. وبعد ذلك إن ولجت به الأقدار أحد طريقين إما شفوفاً بائناً يعليه على نظرائه، أو سلوكاً في غير السبيل التي عهدوها، فهنالك حمي الوطيس على البائس، وصار غرضاً للأقوال، وهدفاً للمطالب، ونصباً للتسبب إليه، ونهباً للألسنة، وعرضةً للتطرق إلى عرضه، وربما نحل ما لم يقل، وطوق ما لم يتقلد، وألحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه، وبالحرى، وهو السابق المبرز إن لم يتعلق من السلطان بحظ، أن يسلم من المتالف، وينجو من المخالف. فإن تعرض لتأليف غمز ولمز، وتعرض وهمز، واشتط عليه، وعظم يسير خطبه، واستشنع هين سقطه، وذهبت محاسنه، وسترت فضائله، وهتف ونودي بما أغفل، فتنكس لذلك همته، وتكل نفسه وتبرد حميته، وهكذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعراً، أو يعمل رسالة، فإنه لا يفلت من هذه الحبائل، ولا يتخلص من هذا النصب، إلا الناهض الفائت، والمطفف المستولي على الأمد "[1].

1 نفسه ، ص177،178.

وبعد ذلك يتولى الرد العملي القائم على الإحصاء والتقييم وإصدار الأحكام بالأدلة والبراهين فيتناول مؤلفات الأندلسيين التي تستحق أن تذكر وتكون موضع اعتزاز في العلوم المختلفة بحسب الترتيب التالي: علوم الشريعة (الفقه والتفسير والدراسات القرآنية جملة والحديث) – اللغة – الشعر – الأخبار (التاريخ) – الطب – الفلسفة – العدد والهندسة – وهى العلوم التي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل إلا في أحدها على حد قول ابن حزم [1] . ويعبر ابن حزم عن ذلك بقوله :" وعلى ذلك، فقد جُمع ما ظنه الظان غير مجموع، وألفت عندنا تآليف في غاية الحسن، لنا خطر السبق في بعضها " [2].

وفى طرح ابن حزم للعلوم التى بز فيها الأندلسيون نراه يحرص على إصدار الأحكام والأقوال التى تميز بنى جلدته على من سواهم فعن مصنفات المالكية يقول : " وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم، وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب " [3].

ويتحدث عن الإمام المجتهد بقى بن مخلد ومصنفاته فى التفسير والحديث فيقول : " وفي تفسير القرآن: كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد ; فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه انه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره. ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف. ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحدٍ قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه، فإنه روى عن

1 أنظر : رسالة فى فضل الأندلس ، ص186.
2 أنظر : رسالة فى فضل الأندلس ، ص178.
3 نفسه ، ص178.

مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير... فصارت تآليف هذا الإمام الفاضل قواعد للإسلام لا نظير لها. وكان متخيراً لا يقلد أحداً، وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه [وجارياً في مضمار أبي عبد الله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري وأبي عبد الرحمن النسائي رحمة الله عليهم " (1).

ويتحدث عن صاحبه ابن عبدالبر ومصنفاته التى قرظها بقوله : " ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر ، وهو الآن في الحياة، لم يبلغ سن الشيخوخة، وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً، فكيف أحسن منه الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور. ولصاحبنا أبي عمر ابن عبد البر المذكور كتب لا مثل لها. منها كتابه المسمى بالكافي في الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتاباً اقتصر فيه على ما بالمفتي الحاجة إليه وبوه وقربه فصار مغنياً عن التصنيفات الطوال في معناه. ومنها كتابه في الصحابة [سماه كتاب الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم على حروف المعجم، اثنا عشر جزءاً ليس لأحد من المتقدمين مثله، على كثرة ما صنفوا في ذلك..." (2).

ورغم ظاهريته نراه يقرظ بعض كتب المالكية ويبين المواضع التى راجت فيها هذه الكتب ولقيت الاستحسان فيقول : " ومنها في الفقه الواضحة، والمالكيون لا تمانع بينهم في فضلها واستحسانهم إياها. ومنها المستخرجة من الأسمعة وهي المعروفة ب " العتبية " ولها عند أهل أفريقية القدر العالي والطيران الحثيث.... ومنها كتاب

1 نفسه ، ص178،179.
2 نفسه ، ص179،180.

المنتخب الذي ألفه القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة ، وما رأيت لمالكي قط كتاباً أنبل منه في جمع روايات المذهب وتأليفها وشرح مستغلقها، وتفريع وجوهها " (1).

وفى الشعر والأدب ينصر ابن حزم الأندلسيين على المشارقة بل على أحد أئمة الظاهرية ، وابن إمام مذهبه داود بن على الأصبهانى فيقول : " وكتاب الحدائق لأبي عمر أحمد بن فرج ، عارض به كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود رحمه الله تعالى، إلا أن أبا بكر إنما أدخل مائة باب، في كل باب مائة بيت، وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت، ليس منها باب تكرر اسمه لأبي بكر، ولم يورد فيه لغير أندلسي شيئاً، وأحسن الاختيار ما شاء وأجاد، فبلغ الغاية، وأتى الكتاب فرداً في معناه " (2).

ويتحدث عن الزهراوى وكتابه التصريف فى الطب فيقرظه بقوله : " وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي ، وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع، لنصدقن " (3).

**ويختتم ابن حزم رسالته بأمور ثلاثة :**

أولها : توضيح السبب الذي جعل الاتجاه إلى علم الكلام بالأندلس ضعيفا ، مع الإشارة إلى بعض الأفراد الذين خرجوا على السمت العام الأندلسى وتبنوا الفكر الاعتزالى ، وفى هذا يقول ابن حزم : " وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل، فقلَّ لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عرية عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار على

1 نفسه ، ص181.
2نفسه ، ص183.
3نفسه ، ص185.

أصوله، ولهم فيه تآليف منهم: خليل بن إسحاق ويحيى بن السمينة والحاجب موسى بن حدير وأخوه الوزير صاحب المظالم أحمد، وكان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك"[1].

ثانيها : الإشارة إلى بعض جهوده في الكتابة الظاهرية والتى كانت مقدمة لعملية الإحياء التى قام بها بشأن المذهب الظاهرى ، ويوضح ابن حزم هذا بقوله : " ولنا على مذهبنا الذي تخيرناه من مذاهب أصحاب الحديث كتاب في هذا المعنى ، وهو وإن كان صغير الجرم، قليل عدد الورق، يزيد على المائتين زيادة يسيرة، فعظيم الفائدة، لأنا أسقطنا فيه المشاغب كلها، وأضربنا على التطويل جملة، واقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة إلى شهادة الحس وبديهة العقل لها بالصحة، ولنا فيما تحققنا به تآليف جمة، منها ما قد تم، ومنها ما شارف التمام، ومنها ما قد مضى منه مصدر، ويعين الله تعالى على باقيه" [2].

ثالثها : المفاضلة بين الفقهاء والمحدثين والشعراء والبلغاء الأندلسيين والمشارقة مع الحرص على نصرة الأندلسيين والتباهى بهم وبإنتاجهم ، حتى لو كانوا من أهل الظاهر، وثم فهو القائل : " وإذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به إلا محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وسليمان بن الأشعث السجستاني وأحمد بن شعيب النسائي، وإذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباهِ به إلا القفال ومحمد بن عقيل الفريابي، وهو شريكهما في صحبة المزني أبي إبراهيم والتلمذة له، وإذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما إلا أبا الحسن ابن المغلس والخلال والديباجي ورويم بن أحمد وقد شركهم عبد الله في أبي سليمان وصحبته. وإذا أشرنا إلى محمد بن يحيى بن لبابة وعمه محمد بن عمر وفضل بن سلمة لم نناطح بهم إلا محمد بن عبد الله

1 أنظر : رسالة فى فضل الأندلس ، ص186.
2 نفسه ، ص186.

بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس..... ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج القسطلي لما تأخر عن شأو بشار بن برد وحبيب والمتنبي فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شعيب ومحمد بن مطرف بن شخيص وأحمد بن فرج وعبد الملك بن سعيد المرادي ، وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه، وحصان ممسوح الغرة. ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حي بعد، لم يبلغ سن الاكتهال، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل ومحمد بن عبد الله بن مسرة في طريقه التي سلك فيها وإن كنا لا نرضى مذهبه، في جماعة يكثر تعدادهم" (1).

هذه صورة مفصلة لبنية الرسالة النفيسة فيما حوته من تفاصيل جد خطيرة ، وقد كتب ابن سعيد تذييلا عليها (2) ، واستدرك بعض الكتب التي لم يذكرها ابن حزم لمعاصريه، مثل كتب مكي بن أبي طالب، وهو ممن له مناظرات مع ابن حزم (3)، ولعل ذلك يعود إلى أن تلك الكتب لم تكن في نظر ابن حزم ذات قيمة أو أنها كتبت بعد تاريخ الرسالة ، وكذلك ذكر كتاب المتين لابن حيان وكتبا أخرى لابن عبد البر ، وكتابا لابن الفرضي في أخبار الشعراء وتاريخ الغزال نظما، وهذا يدل على أن رسالة ابن حزم لم تستوف جل التراث الأندلسى الذى قدمه علماؤها حتى تاريخ تصنيف رسالته النفيسة ، وربما كان السبب في ذلك تمييز صاحبها عمدا بين كتب جديرة بالذكر وأخرى غير جديرة بذلك ، أو أن ابن حزم لم يعد النظر فيها ليضيف إليها ما جد بعد تأليفها.

1 نفسه ، 187،188.
2 المقرى : نفح الطيب ، 3/179.
3 عبدالباقى السيد : ابن حزم ، ص241.

وأيا ما كان الأمر فإن رسالة فضل الأندلس تجسد الخصوصية الأندلسية ، والشخصية الأندلسية بملامحها التجديدية والإبداعية ، وقد أفادتنا إفادات جمة فى التعرف على أمور تخص سيرة ابن حزم ، ومعاصريه وأقرانه وشيوخه، والفكر الأندلسي، بما يتضمنه من تراث أنتجه أهل الأندلس حتى أيام ابن حزم. وهو ما أشار إليه المؤرخ الفذ والمفكر العظيم أستاذنا الدكتور محمود إسماعيل بقوله : " فرسالته فى فضائل أهل الأندلس تعكس بوعي مقاصده التي ركزت على الأندلس وحسب . فهى تقدم دراسة شافية عن تاريخ الأندلس الحضاري والاجتماعي والفكري، فضلا عن البعد الجغرافي، أو بالأحرى، هي محاولة لتجسيد الشخصانية الأندلسية التي حاول ابن حزم استعادة ملامحها بعد أن تعرضت للمسخ والتشويه في عصر الفتنة وملوك الطوائف. وتنم معالجة الموضوع عن تجنب ما وقع فيه مؤرخو كتاب الفضائل من مبالغات وانتحالات، ووقوعهم في مزالق الإقليمية والإثنية الشعوبية " (1).

1 أنظر : إشكالية المنهج، ص28، 29.

## المبحث الرابع : تاريخ الدول والحكام

يتناول هذا الفن من الكتابة التاريخية دراسة الأسر الحاكمة أو الدول أو العهود فيذكر المؤرخون أصل تلك الأسرة الحاكمة، ونسبها، والإشادة بمفاخرها وبطولاتها ثم يشيرون إلى من تولى الحكم من أبنائها، وسيرة كل واحد منهم، فيذكرون نشأته وصفاته الخلقية والخلقية، وعدله، وكرمه، وجهاده، وما يتصف به من محاسن الأقوال والأعمال، ثم يتناولون بالذكر أسماء وزرائه، وكتابه، وقضاته وعماله، وما يضم بلاطه من الجلساء والندماء من خيرة العلماء والأدباء والشعراء والوافدين عليه من سائر الأرجاء ، ومن مصنفات ابن حزم التى تندرج تحت هذا النوع :

**1-ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس** : وهى من مصنفات ابن حزم المفقودة ، ولكن تلميذه الحميدى جمع نتفا منها وصدر بها كتابه جذوة المقتبس [1] ، وبدأ ابن حزم رسالته على ما ذكره الحميدى بولاية الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، ويؤكد الحميدى استفادته من شيخه فى هذه الرسالة فيذكر عقب قوله : " فاتصلت ولايته إلى أن مات سنة اثنتين وسبعين ومائة. كذا قال لنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الفقيه [2]. ثم يذكر ولاية الأمير هشام بن عبد الرحمن ، ثم ولاية الحكم بن هشام ، ثم ولاية عبد الرحمن بن الحكم ، ثم ولاية الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ثم ولاية المنذر بن محمد ، ثم ولاية عبد الله بن محمد ، ثم ولاية عبد الرحمن الناصر ، ولاية الحكم المستنصر ، ثم ولاية هشام المؤيد ، ثم ولاية محمد بن هشام المهدي ، ثم ولاية سليمان بن الحكم المستعين ، ثم ولاية علي بن حمود الناصر ، ثم ولاية القاسم بن حمود المأمون ، ثم ولاية يحيى بن علي المعتلي ، ثم ولاية عبد الرحمن بن هشام المستظهر ، ثم ولاية محمد بن عبد الرحمن المستكفي ، ثم ولاية هشام بن محمد المعتد ، ويختتم الكلام على بنى أمية بقوله :

1 أنظر : جذوة المقتبس ، ص10-34.

2 أنظر : رسائل ابن حزم ، 2/ 191.

" وبقي هشام بن المعتد معتقلاً، ثم هرب ولحق بابن هود بلا ردة، فأقام هنالك إلى أن مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ولا عقب له، وانقطعت دولة بني مروان جملة، إلا أن إشبيلية ومن كان على رأيهم من أهل تلك البلاد، لما ضيق عليهم يحيى بن علي الحسني وخافوا أمره، أظهروا أن هشام بن الحكم المؤيد حي، وأنهم ظفروا به فبايعوه وأظهروا دعوته، وتابعهم أكثر أهل الأندلس. وبقي الأمر كذلك إلى حدود الخمسين وأربعمائة ، فإنهم أظهروا موت هشام المؤيد الذي ذكروا أنه وصل إليهم، وحصل عندهم، وانقطعت الخطبة لبني أمية من جميع أقطار الأندلس من حينئذ وإلى الآن " [1]. ثم يواصل ابن حزم الحديث عن الحسنيين بعد قتل يحيى بن علي إلى أن يقول : " وكان إدريس بن يحيى المعروف بالعالي عند بني يفرن بتاكرنا، فلما توفي محمد بن إدريس ردته العامة إلى مالقة واستولى عليها " [2].

وبعد هذا العرض لتاريخ أمراء الأندلس يؤكد الحميدى على أنه من أوله إلى آخره مستفاد من شيخه ابن حزم من رسالته عن أمراء الأندلس إذ يقول : " هذا آخر ما استفدنا أكثره من شيخنا أبي محمد علي بن أحمد رحمه الله، وعلمناه نحن، من جُمل أخبار من ذكرنا من ملوك تلك البلاد إلى وقت خروجنا منها " [3].

**2-طوق الحمامة :** وهو وإن كان فى العشق والعلاقات العاطفية إلا أن ابن حزم ذكر فيه من الروايات التاريخية التى تخص الأندلس وحكامها وشعرائها وعلمائها . ما جعلنا نصنفه ضمن هذا النوع من الكتابة التاريخية التى تفرد فيها ابن حزم ; وإلى جانب ذلك فإن هذا الكتاب أشبه بمذكرات شخصية تؤرخ لحياة ابن حزم في كافة

1 أنظر : رسائل ابن حزم ، 2/204.
2 المصدر نفسه ، 2/208.
3 المصدر نفسه ، 2/208.

مراحلها ، وتعكس صدى تأثير الواقع الأندلسي المحزن على نفسيته المرهفة; كأحد رجال الحكم والسياسة بالأندلس هو ووالده .

وإذا أفادنا الطوق بمعلومات تاريخية ضافية . فقد أمدنا أيضا بمعلومات تدخل في إطار علم النفس تكشف عن تجارب ابن حزم الذاتية العاطفية التى سردها في جرأة وصراحة غير مألوفة عند مفكري عصره ; فقد جمع فيه ابن حزم ما بين الأفكار الفلسفية والواقع التاريخي والتجارب الذاتية [1].

وأما الغاية من هذا الكتاب ودوافع التأليف فيبينها ابن حزم فى صدر كتابه بقوله : " فإن كتابك وردني من مدينة المرية إلى مسكني بحضرة شاطبة ، تذكر من حسن حالك ما يسرني، وحمدت الله عز وجل " عليه واستدمته لك، واستزدته فيك; ثم لم ألبث أن اطلع علي شخصك وقصدتني بنفسك، على بعد الشقة وتنائي الديار وشحط المزار وطول المسافة وغول الطريق; وفي دون هذا ما سلى المشتاق، ونسى الذاكر، إلا من تمسك بحبل الوفاء مثلك، ورعى سالف الأذمة ووكيد المودات وحق النشأة ومحبة الصبا، وكانت مودته الله تعالى. ولقد أثبت بيننا من ذلك ما نحن عليه حامدون وشاكرون ، وكانت معانيك في كتابك زائدة على ما عهدته من سائر كتبك، ثم كشفت إلي بإقبالك غرضك، وأطلعتني على مذهبك، سجية لم تزل عليها من مشاركتك لي في حلوك ومرك، وسرك وجهرك، يحدوك الود الصحيح الذي أنا لك على أضعافه، لا أبتغي جزاء غير مقابلته بمثله .... ذباب وكلفتني – أعزك الله – أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة، لا متزايداً ولا مفنناً، لكن مورداً لما يحضرني على وجهه وبحسب وقوعه، حيث انتهى حفظي وسعة باعي فيما أذكره، فبدرت إلى مرغوبك، ولولا الإيجاب لك لما تكلفته، فهذا من

1 صلاح الدين بسيونى رسلان : الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ص258.

العفو، والأولى بنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به رحب المنقلب وحسن المآب غداً...." [1].

ومما سبق يتضح الآتى :

أولا : أن سبب التأليف ورود رسالة من أحد اصحاب ابن حزم يسأله أن يصنف له كتابا فى الحب .

ثانيا : أن هذا الصاحب كان صديقا لابن حزم منذ الصبا .

ثالثا : ان ابن حزم حال ورود الخطاب كان بعيدا عن موطن راسه ، ويعانى لوعة المرارة لبعده عن وطنه .

رابعا : أن ابن حزم وصلته كتبا كثيرة من صاحبه هذا ، وكان كتابه بشأن تأليف ابن حزم له كتابا عن الحب أفضلها .

**3-أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم** : وقد بدأ ابن حزم بذكر الخلفاء المهديين الراشدين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب والحسن بن على [2] ، وقد جعل ابن حزم الحسن بن على ضمن الخلفاء الراشدين وذلك لورود النص بذلك حيث أخبر النبى بأن الخلافة بعده ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك ، ولم يكن فى الثلاثين بعده إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن بن على التى تبلغ ستة أشهر[3] . ثم ذكر الخلفاء من بني أمية بالمشرق بدءً من معاوية بن أبى سفيان حتى آخرهم وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، ويذكر عبدالله بن الزبير كأحد

1 أنظر : طوق الحمامة ، دار الجيل ، ص11-13.

2 أنظر : أسماء الخلفاء ، ص106-110.

3 السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص11.

الخلفاء بعد معاوية بن يزيد بن معاوية [1] ثم يذكر خلفاء بني العباس بدءً من أبى العباس السفاح حتى القائم بن القادر [2] .

وتجدر الإشارة إلى أن ذكر ابن حزم لفظة "الولاة" في العنوان لا يدل على أنه يذكر في رسالته العمال وأمراء الولايات ، وإنما هم الخلفاء أنفسهم. ويحرص ابن حزم أن يذكر عند كل خليفة تاريخ استخلافه وتاريخ وفاته وتحديد مدته بالسنوات والأشهر والأيام وعمره واسم أمه، وأهم الأحداث في زمنه، وقد كتب هذه الرسالة بعد سنة 422 (أي بعد أن تولى القائم باله العباسي); وفي صورة ثانية من هذه الرسالة ما يدل على أن كتابتها قد تمت بعد سنوات من ولاية القائم إذ قد زاد في الصورة الثانية قوله: " وهو مغلوب عليه لا يظهر ولا ينفذ له أمر " ولعل في ذلك إشارة إلى ما حدث سنة 426 وما بعدها، فقد ذكر ابن الأثير في أحداث تلك السنة أن أمر الخلافة انحل ببغداد، وكثر ظهور العيارين وانتشار الأعراب في النواحي وقطع الطرق [3] أو لعل الإشارة إلى فتنة البساسيري سنة هـ446.

أما الصورة الثانية من هذه الرسالة [4] فبمقارنتها بالصورة الأولى تبدو وكأنها تأليف مستأنف .

وتعد هذه الرسالة واحدة في سلسلة من الكتب التي ألفت في أخبار الخلفاء بأسلوب متعمد في الإيجاز مثل : تاريخ الخلفاء لأبي عبد الله محمد بن يزيد (وفيه زيادات لأبي بكر السدوسي وأبي بكر الشافعي وابن شاذان). ، والذى لا يستبعد أن

1 أنظر : أسماء الخلفاء ، ص110-121.
2 نفسه ، ص121-138.
3 ابن الأثير : الكامل ، 9/ 440 - 441.
4 قام بتحقيقها ونشرها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري والدكتور عبد الحليم عويس . أنظر : خلاصة في أصول الإسلام وتاريخه (رسالتان جديدتان لابن حزم) ، الرياض ، 1977م.

يكون ابن حزم قد اطلع عليه ، فإن ابن ماجه يحرص فيه على أن يذكر تاريخ تولي الخليفة وتاريخ مقتله ومدة حكمه بالسنة والشهر واليوم وعمره واسم أمه وكنيته ويضيف أحيانا اسم من صلى عليه; فالأمور التي يدونها تشبه إلى حد كبير ما دونه ابن حزم في رسالته.

وقد اطلع ابن الوزير صاحب الروض الباسم على رسالة ابن حزم هذه وسماها " أسماء الخلفاء " ونقل عنها بعض مساوئ مروان ابن الحكم (1).

4- تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبى عامر ، من مصنفات ابن حزم المفقودة ، وقد ذكر الحميدى طرفا من هؤلاء الشعراء نقلا عن ابن حزم منهم أحمد بن برد أبا حفص الوزير ، وأحمد بن جهور ، وأحمد بن حبرون (2).

5- غزوات المنصور بن أبى عامر. من مصنفات ابن حزم المفقودة ، وقد احتفظ لنا العذرى بخمسة وعشرين غزوة من غزوات المنصور منها غزواته على حصن الحامة في رجب 366 هـ، وحصن مولة في شوال 366 هـ، وشلمنقة في صفر 367 هـ وفي ربيع الأول 373 هـ، وريف مملكة نافارا وكونتية برشلونة في شوال 367 هـ، والمُنية في ربيع الآخر 370 هـ، وقلعة أيوب وأنتيسة في ذي القعدة 370 هـ، وسمورة في رمضان 373 هـ، وطرنكوشة في ربيع الآخر 371 هـ ... وغيرها (3) ، وإذا كانت وفاة العذرى بعد ابن حزم باثنتين وعشرين عاماً فمن المرجح أن يكون الأول قد استفاد من الثانى ، وأن النصوص التى ذكرها عن غزوات المنصور مستقاة من كتاب ابن حزم المفرد عن هذه الغزوات .

---

1 انظر: الروض الباسم 1/ 138.

2 أنظر : جذوة المقتبس ، ص106،107.

3 أنظر : نصوص عن الأندلس ، ص74 ومابعدها.

6- كتاب فى جملة من دخل الأندلس من المغرب [1] ، من مصنفات ابن حزم المفقودة ، وقد نقل عنه الحميدى جملة من الأفراد منهم إبراهيم بن قاسم الأطرابلسى[2].

7- كتاب الفضائح ذكر فيه فضائح البربر، يبدو أنه صنفه بعد تدمير البربر قرطبة سنة403هـ/1013م [3]. وهذا الكتاب يبين وجهة نظر ابن حزم فيما عرف بالفتنة البربرية ، وظاهر اسمه يوحى بأن ابن حزم يحمل البربر سبب الفتن التى وقعت عقب اقتحامهم قرطبة .

وتجدر الإشارة إلى أن ابن حزم عرض شذرات تخص هذا الصنف من أصناف الكتابة التاريخية فى إحدى مصنفاته الفلسفية أو النفسية ، وهى رسالته مداواة النفوس . إذ نراه يلفت الأنظار إلى نظرية تاريخية سياسية خطيرة عندما يتحدث عن سلوك السلطان مع حاشيته والآثار المترتبة على ذلك فيقول : " لا شيء أضر على السلطان من كثرة المتفرغين حواليه. فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه، فان لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه ، وأما مقرب أعدائه فذلك قاتل نفسه [4].

وابن حزم بقوله هذا يؤسس نظاما إداريا خاصا بهيئة الدولة حتى يستمر العمران ويستقر امر الدولة [5].

ونفس الشيء نجده فى مصنفات أخرى غير تاريخية ، إذ نراه فى رسائله التى تخص النوازل يطرح طروحات تاريخية تمس هذا النوع من أنواع الكتابة التاريخية . ففى رسالته فى الرد على ابن النغريلة اليهودى نراه يكتب بأسلوب متميز واصفا عصر ملوك

1 عبدالباقى السيد : ابن حزم ، ص352.
2 أنظر : جذوة المقتبس ، ص138 ترجمة 187.
3 االمرجع نفسه ، ص352.
4 أنظر : مداواة النفوس ، 350/1.
5 محمد بنيعيش : الفكر السلوكى عند ابن حزم ، دار غراب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص92.

الطوائف بقوله : " اللّهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سبباً إلى انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائهم عليهم، وعن حياطة ملتهم التى بها عزوا في عاجلتهم وبها يرجون الفوز في آجلتهم .. "[1].

وفى ذات الرسالة يبين حقيقة تطاول غير المسلمين على المسلمين ، ويؤرخ لواقعة تأليف ابن النغريلة لكتاب زعم فيه تناقض القرآن فيقول ابن حزم : " حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة، وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك بما لو حقق النظر أرباب الدنيا لاهتموا بذلك ضعف همنا، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء والحمية للملة الغراء.. "[2].

وفى ذات الموضع من الرسالة نراه يؤكد كما سبق على فساد سياسة ملوك الطوائف بقوله : " ثم هم متردون بما يؤول إليه إهمال هذا الحال من فساد سياستهم والقدح في رياستهم، فللأسباب أسباب، وللمداخل إلى البلاء أبواب، والله اعلم بالصواب "[3]. كما أعطانا صورة رائعة عن الجدل الدينى فى الأندلس بين المسلمين واليهود ، من خلال تعقبه لكلام ابن النغريلة[4].

وفى رسالة التلخيص ، وهى رسالة تخص الفقه والفتوى يبدو ابن حزم أكثر وضوحا فى نقده لملوك الطوائف من كثرة ما وجه للإسلام والمسلمين من ضربات بفعل ملوك سوقة ، ليس لهم هم سوى استدامة ملكهم والسيطرة على شعوبهم ، وإن

1 أنظر : رسالة فى الرد على ابن النغريلة ، رسائل ، 3/ 41.
2 أنظر : رسالة فى الرد على ابن النغريلة ، رسائل ، 3/ 41.
3 أنظر : رسالة فى الرد على ابن النغريلة ، رسائل ، 3/ 41.
4 نفسه ، 3/ 43 وما بعدها.

كلفهم ذلك التنازل على بعض المدن الإسلامية للنصارى يخلوها من الإسلام ويزينوها بالنواقيس والصلبان .

ففى إجابة لابن حزم على سؤال بخصوص الفتنة التى ضربت الأندلس بسيطرة كل ملك على مدينة وناحية من نواحى الأندلس وتصرفه فيها كيف يشاء يقول ابن حزم فى جرأة شديدة انفرد بها وحده من بين كثير من فقهاء الأندلس : ( وأما ما سألتم عنه من أمر هذه الفتنة وملابسة الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض ، فهذا أمر امتحنا به نسأل الله السلامة ، وهى فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن فى شىء من أندلسنا هذه أولها عن آخرها محارب لله تعالى ورسوله وساع فى الأرض بفساد..."[1].

ويوضح ابن حزم سبب قسوته هذه وحكمه العنيف السابق على ملوك الطوائف بقوله : " للذى ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التى تكون فى ملك من ضارهم ، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التى ينقضون على أهلها ، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين فى أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله ، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيهم ... "[2].

ويزداد ابن حزم وضوحا عندما يبين دور العلماء والفقهاء فى التزيين لملوك الطوائف فيما هم بصدده من قرارات فيقول : " فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع المزينون لأهل الشر شرهم ، الناصرون لهم على فسقهم فالمخلص لنا فيها الإمساك للألسنة جملة

(1) أنظر : رسائل ابن حزم ، 3/173

(2) أنظر : رسائل ابن حزم ، 3/173

واحدة إلا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذم جميعهم ، فمن عجز منا عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه ) [1].

وفى موضع آخر يقول عن ملوك عصره : " والله لو علموا أن فى عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم ، وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحسرهم معهم آمنين ، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس ، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه " [2].

وقد تساءل أحد الباحثين المحدثين هل كان ابن حزم فى وصفه لملوك الطوائف مبالغا أو متحاملا ، ويجيب بقوله هذا ما لانعتقده لقد كان ابن حزم يشير بأسلوبه القوى اللاذع إلى وقائع وظروف تؤيدها كل الروايات والوثائق المعاصرة ، وكان بحكم مركزه الاجتماعى الممتاز ورفيع مكانته العلمية والدينية يستطيع أن يرى من أوضاع الأمور ما لا يستطيع أن يراه غيره [3].

(1) أنظر : رسائل ابن حزم ، 3/173

(2) نفسه ، ص176 .

(3) عبدالله عنان ، أندلسيات ، ص57 .

## المبحث الخامس : تاريخ الفتوح

يعتبر كتاب " فتوح مصر و المغرب والأندلس " للمؤرخ المصري **عبد الرحمن بن عبد الحكم**(257هـ/871م) ، من أوائل كتب الفتوح التى تعرضت للمغرب والأندلس وأهمها على الإطلاق [1] ، لهذا انتشر في الأندلس وأخذ عنه كثير من المؤرخين الأندلسيين أمثال ابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس وابن خير في فهرسته والحميدي ([2]) في جذوته وغيرهم [3].

---

1العبادي : من التراث العربي الأسباني نماذج لأهم المصادر العربيه والموارد الأسبانيه التي تأثر بها مجلة عالم الفكر ، وزارة الإعلام في الكويت , أبريل-مايو-يونيو,1977, ص41.

2 هو : شيخ المحدثين أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل ، الأزدي ، الحميدي ، الأندلسي ; الميورقي ، الفقيه ، الظاهري ، صاحب ابن حزم وتلميذه . قال : مولدي قبل سنة عشرين وأربعمائة . لازم أبا محمد علي بن أحمد الفقيه ، فأكثر عنه ، وأخذ عن أبي عمر بن عبد البر ، وطائفة ، ثم ارتحل ، فأخذ بمصر عن القاضي أبي عبد الله القضاعي ، ومحمد بن أحمد القزويني ، وأبي إسحاق الحبال ، وعدة ، والحافظ عبد الرحيم بن أحمد البخاري ، وسمع بدمشق من أبي القاسم الحنائي ، والحافظ أبي بكر الخطيب ، وعبد العزيز الكتاني ، وسمع بالأندلس أيضا من أبي العباس أحمد بن عمر بن دهاث ، وبمكة من المحدثة كريمة المروزية ، وبمصر أيضا من عبد العزيز الضراب ، وابن بقاء الوراق ، وببغداد من عبد الصمد بن المأمون ، وأبي الحسين بن المهتدي بالله ، وأبي محمد بن هزارمرد ، وأبي جعفر بن المسلمة ، وبواسط من العلامة أبي غالب بن بشران اللغوي ، وأكثر عن أصحاب أبي طاهر المخلص ، ثم عن أصحاب أبي عمر بن مهدي ، إلى أن كتب عن أصحاب أبي محمد الجوهري ، وجمع وصنف ، وعمل " الجمع بين الصحيحين " ، ورتبه أحسن ترتيب . استوطن بغداد ، وأول ارتحاله في العلم كان في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة. توفي الحميدي في سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة عن بضع وستين سنة أو أكثر ، وصلى عليه أبو بكر الشاشي ، ودفن بمقبرة باب أبرز ، ثم إنهم نقلوه بعد سنتين إلى مقبرة باب حرب ، فدفن عند بشر الحافي . أنظر ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ، 19/120-127.

3 عباس رضا هادي : المكتبة الأندلسية ، ص10.

وقد أسهم **محمد بن موسى الرازي** (ت277هـ/980م)[1] عميد مؤرخي الأندلس فى تدوين تاريخ الأأندلس ، لا سيما الصنف الذى يخص الفتوح ، وأكمل كتابه من بعده ابنه عيسى بن احمد الرازي (379هـ/ 989م) الذي عاش في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي واشتغل في البلاط الأموي بقرطبة وكتب تاريخاً عاماً للأندلس حتى نهاية عصر الخليفة الحكم المستنصر [2]، وقد ضم كتابه الرايات معلومات قيمه عن دور القائد موسى بن نصير في فتح الأندلس وكيفية دخوله إلى البلاد وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي رافقته وفيه تفصيلات عن هذه القبائل وتجمعاتها ورايتها التي كانت تحارب تحت ظلها والى هذه الرايات تعود نسبة اسم الكتاب كما يحتوي على معلومات مهمة عن إجراءات موسى بن نصير في تقسيم أراضي الأندلس وتعيين الأخماس وكيفية معاملة السكان المحليين الذين فضلوا دفع الجزية والبقاء ببلادهم والاحتفاظ بديانتهم إلا إن هذا الكتاب يعد في جملة الكتب المفقودة .

وقد عثر على قطعة من الكتاب وترجمه ليفي بروفنسال إلى اللغة الفرنسية ونشرها بمجلة الأندلس العدد (18) لسنة 1953مدريد –غرناطة مع تعليقات إضافية والقطعة تتناول المقدمة الجغرافية التي كتبها الرازي في وصف الأندلس ، ونجد شذرات من تاريخ الرازي وابنه كذلك في كتاب فرحة الأنفس لابن غالب وكذا فى

1 محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن القيط الكناني الرازي:مؤرخ واديب وهو رأس اسرة الرازي التاريخيه في الاندلس والتي نبغ فيها ابنه احمد وحفيده عيسى وكان محمد تاجرا متجولا ثم نال ثقة الامير محمد بن عبد الرحمن وابنه من بعده الامير المنذر بن محمد توفى سنة 277هـ/890م أنظر:ابن حيان القرطبي : المقتبس في أنباء أهل الأندلس ، تحقيق محمود علي مكي ، بيروت ,1973، ص265-ص269

2 عباس رضا ، المكتبة الأندلسية، ص10 ; والحكم المستنصر استخلفه عبد الرحمن الناصر من بعده فى الحَكَمَ، وقد تولَّى من سنة (350هـ/ 961م) إلى سنة (366هـ/976 م)، وتلقب بالمستنصر بالله، وكان يوم تولَّى في نحو السابعة والأربعين من عمره ، وكان أبوه يُقَرِّبُه ويعتمد عليه في كثير من الأمور; فكان ذا خبرة بشئون الحُكم والسياسة. أنظر ، ابن حزم الظاهرى : ذكر أوقات الأمراء ، رسائل ابن حزم ، 2/194.

وصف الأندلس لابن الشباط ، ووكذا فى كتابات ابن الآبار وابن الخطيب فضلا عن نفح الطيب للمقري [1].

ومن المحاولات الرائدة الأخرى "في تدوين التاريخ في الأندلس" ، والتي يعود زمنها إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ما قام به أحد أحفاد موسى بن نصير وهو معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير ويشير صاحب كتاب جذوة المقتبس(**الحميدي**) إلى أن **(معارك هذا)** قد ألف كتابا في تاريخ الأندلس تناول فيه أثر موسى بن نصير في فتح البلاد وما جرى له فيها من الأموروالأحداث [2] وهذا الكتاب مفقود ولكن ما نقل عنه من حياة موسى بن نصير في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب خطأ لابن قتيبة الدينوري ([3]) مأخوذة من كتاب معارك بن مروان حفيد موسى بن نصير ومن الملاحظ على هذه الروايات صفة الأساطيرالتي تهدف إلى إبراز دور موسى بن نصير وإضفاء صفة البطولة الأسطورية[4].

وصاغ بعض شعراء عصر الإمارة تدوينهم التاريخى فى قصائد شعرية، مثل يحيى الغزال (ت 250هـ/ 862م)، حيث نظم قصيدة طويلة فى فتح الأندلس، ذكر فيها السبب فى غزوها، وفصل فيها الوقائع بين المسلمين وأهلها، وعدد الأمراء عليها وأسمائهم[5] كما نظم تمام بن عامر بن علقمة (ت 283هـ/ 896م) قصيدة فى فتح

1 عباس رضا ، المكتبة الأندلسية، ص.11

2- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، تراثنا، المكتبة الاندلسية، القاهرة،1966، ص338.

3عن ذلك بالتفصيل أنظر : شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983 ، 1/241-242 .

4 طه عبدالواحد : نشأة التدوين، ص11.

(5) محمد عبد الحميد عيسى: المدرسة التاريخية فى الأندلس، ص 25.

الأندلس وتسمية ولاتها، ووصف حروبها من وقت دخول طارق بن زياد إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم[1].

ومن أشهر من ألف في تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري هو **أبو بكر محمد عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية** (حفيد الأميرة سارة أرملة الحاكم القوطي )(ت 367هـ/ 977م) ولد بقرطبة ودرس في اشبيلية وكان عالما بالنحو واللغة متقدما فيهما على أهل عصره، حافظا لأخبار الأندلس، ملما برواية سير أمرائها وأحوال فقهائها وشعرائها، وكان يملي ذلك عن ظهر قلب[2] .

وأبرز مؤلفات ابن القوطية المتبقية هو كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس) الذي يتناول فيه تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية إمارة الأمير عبد الله بن محمد سنة 300هـ/912م[3]، وإن كان الكتاب قد كتب من قبل طلاب ابن القوطية إذ كان الأخير يروي الأخبار والطلبة يكتبون ولذلك جاءت الأخبار بصيغة : أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال ..." [4] ومع ذلك فيمكن اعتماد هذا الكتاب محاولة من المحاولات الرائدة الأولى في التدوين التاريخي في الأندلس، لما تميز به من خصائص تتعلق بطبيعة وتكوين المجتمع الأندلسي، وانتساب المؤلف إلى هذا المجتمع، ومحاولته

(1)ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب المصرى، القاهرة، د.ت ، ص 32 ; وانظر : بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص 78.

2 ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص76 .

3 الأمير عبد الله بن محمد (275 – 300هـ/ 888-912م): ولي الحكم بعد اخوه المنذر يذكر ابن خلدون : كان خراج الاندلس قبله ثلاثمائة الف دينار، فانفق الوفر حين اضطربت عليه نواحي الاندلس بالثوار والمتغلبين في تلك السنين،وقل الخراج توفى سنة ثلاثمائة ومدة ملكه نحو من خمسين وعشرين سنة، أنظر : ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت، ط4، 1971،4/133.

4 ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس، ص2 .

رسم صورة واقعية للأحداث التي مرت على بلده منذ الفتح وإلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[1] .

وهذا الصنف من أصناف الكتابة التاريخية نرى ابن حزم يختصره جدا ليقربه للناس ، وليطلعهم على جهود السابقين فى نشر الإسلام ، وهو فى هذا النوع يظهر متميزا فى الطرح ليس إلا ، وإن كان محاكيا لمن سبقه كالبلاذرى فى فتوح البلدان ، وكالواقدي والأزدي فتوح الشام وغيرهما من مؤرخى الفتوح ، ومن مصنفات ابن حزم فى هذا الشأن: **رسالة جمل فتوح الإسلام** : والتى يبدأها بقوله : جُمل فتوح الإسلام
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] ، ويذكر حروب الردة كفتوح للإسلام بعد وفاة النبى ، ثم يذكر فتوح الإسلام فى عصر الخلفاء الراشدين ومن تلاهم من بنى أمية وبنى العباس ، ويختتم الرسالة بذكر فتوحات السلطان محمود الغزنوى بالهند ، وبما بلغ ابن حزم من أخبار الفتوحات الإسلامية فى السودان [3].

1 عبدالواحد ذنون: نشأة تدوين، ص17، ص18 ; وانظر : عباس رضا : المكتبة الأندلسية ص11.
2 أنظر : رسائل ابن حزم ، 2/125.
3 المصدر نفسه ، 2/133.

## المبحث السادس : الأنساب ومعاجم الشيوخ

اهتم المؤرخون الأندلسيون بعلم النسب، وخاصة "نسب قريش". فألف عبد الملك بن حبيب فى "أخبار قريش وأنسابها"[1] وألف معاوية بين هشام فى نسب آل على أسماه "التاج السنى فى نسب آل على"[2] ويبدو أن التأليف فى الأنساب، كان حاجة ملحة فى الأندلس، نظراً لدخول الكثير من القبائل العربية والبربرية إلى هذه البلاد، واختلاطها، واحتمال ضياع أنسابها[3] ، ومن ثم فقد ألف عبد الله بن عبيد الأزدى (ت241هـ / 855 م ) كتاباً في الأنساب، بعنوان " أنساب الداخلين إلى الأندلس بين العرب وغيرهم" ، فضلاً عن كتاب " أعيان الموالي ". كما شارك قاسم بن أصبغ الجيانى (ت340هـ/951) [4] بالكتابة فى الأنساب ، وهذا واضح في كتابه الموسوم : الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس.

ومن هؤلاء الذين اهتموا بالأنساب **عبدالله بن عبيد الله الازدي الملقب بالحكيم** والذي كان عالما باللغة وحفظ الأخبار وقول الشعر[5] وقد خصه الزبيدي (ت379هـ/989م) بترجمة مختصره أشار فيها إلى انه كان ذا حظ في علم اللغة،وحفظ

(1) ابن فرحون: الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2002 ، 2/ 11، 12 ; بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص 230.

(2) ابن الأبار: التكملة، 2/ 183.

(3) عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربى، ص 18.

4) قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء القرطبي ابو محمد محدث حافظ مكثر عارف بالرجال والانساب والنحو والغريب والشعر سكن قرطبه ولد سنه 248هـ/862م وتوفي سنة 340هـ/954، أنظر: ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ،406،407/1 ; الحميدي : جذوة المقتبس ، ص311.

5) ابن الأبار: التكمله لكتاب الصلة، 783/2 .

الإخبار، والأنساب، وكان يقرض الشعر الحسن،وانه كان متعصبا للقحطانيه،وانه توفي في منتصف رمضان سنة(341هـ/952م)[1]

لقد عاش الحكيم في عصر الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (300-350هـ/912—961م)، وقد ألف كتابا للأنساب ، وأهداه إلى الخليفة سنة 330 هـ / 941 م وعنوان الكتاب : " أنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم" ، وقد ذكر فيه الخلفاء ومن تناسل منهم بالأندلس ، وقريش ومواليهم وأهل الخدمة والتصرف ، ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق في غير قريش ، ومشاهير قبائل البربر الذين دخلوا إلى الأندلس [2].

بيد أن هذا الكتاب قد ضاع في جملة ما ضاع من كتب الأندلس، ولكن بعض المؤرخين اللاحقين نقلوا عنه شذرات قليلة منها معلومات عن استقرار بعض الأسر العربية الشهيرة في الأندلس من أمثال المراكشي ( ت 703 هـ/1303 م ) في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة [3].

كانت هذه الكتب السابقة مقدمة لمجهود متميز قام به ابن حزم فى إطار الدفاع عن النسب كأحد فروع علم التاريخ ، حتى اشتهر بين المؤرخين بأنه من أئمة النسابة ومقدميهم [4] ، ومن مؤلفاته فى هذا النوع :

---

1 الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ،1954م ، ص327.

2 المراكشي : الذيل والتكمله لكتابي الموصول والصلة،السفر الأول، القسم الأول، تحقيق: محمد بن شريف ، بيروت، د. ت ، ص 213 ; السفر السادس، تحقيق: إحسان عباس ، بيروت، 1973 ،ص 208

3- المراكشي الذيل والتكمله لكتابي الموصول والصله السفر الاول القسم الاول ص 213 السفر الخامس القسمين الأول والثاني تحقيق احسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، 1973، ص 574 – ص 654 ; السفر السادس ، ص205 ; وانظر : عبدالواحد طه، نشأت التدوين، ص 11 –13 .

4 ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، 97/6 ; وانظر : عبدالباقى السيد : ابن حزم الظاهرى ، ص69.

**جمهرة أنساب العرب** : وهو من أوسع كتب النسب وأغناها وأدقها. فقد استفاد ابن حزم من معظم كتب الأنساب والتراجم والرجال واستخلص منها مادة كتابه ، وقد أشار ابن حزم فى كتابه إلى الأحداث التاريخية والقبلية والأدبية ، وذكر المدن والمساكن التى تجمهرت فيها القبائل العربية ، وتحدث عن المفاخرة بين عدنان وقحطان ، إضافة إلى قضاعة ، فأثبت بطرحه دراية دقيقة بقبائل العرب وأصولها، خصوصا تلك التي استوطنت الأندلس; حيث أفاض في شرح أماكن سكناها وتحديد موقف المؤيد منهم للسلطة، والمعارض لها(1) ; ولا شك أن اهتمامه بالعنصر العربي خصوصا فى جمهرته يوحى بموقفه الموالي للخلافة الأموية، التي رأى فيها المخلص من التجزئة والفرقة، وإعادة الأندلس إلى الوحدة ، وهو الأمر الذى جاهد من أجله عمليا وتنظيريا.

الجدير بالذكر أن ابن حزم رغم أنه وسم كتابه بجمهرة انساب العرب إلا أنه لم يتوقف عند العرب فحسب بل قدم فى كتابه دراسة وافية عن نسب بنى إسرائيل معتمدا على التوراة ، وكذا تحدث عن نسب الأخرى الفرس، والبربر، والمولدين(2).

وأما بشأن الغاية من تصنيف ابن حزم كتاب جمهرة أنساب العرب فبعد أن ساق كلاما طويلا عن أهمية النسب وفضله ، نراه يتحدث عن جمعه للكتاب وتبويبه له بقوله : " فجمعنا في كتابنا هذا تواشج أرحام قبائل العرب، وتفر بعضها من بعض، وذكرنا من أعيان كل قبيلة مقداراً يكون من وقف عليه خارجاً من الجهل بالأنساب، ومشرفاً على جمهرتها. .... وبدأنا بولد عدنان، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيد ولد آدم – عليه السلام – من عدنان . وابتدأنا من ولد عدنان بقريش لموضعه عليه السلام منهم، وابتدأنا من قريش بالأقرب فالأقرب منه عليه السلام، ثم

1 أنظر : جمهرة أنساب العرب، ص12.
2 نفسه ، ص39 ، 498.

الأقرب فالأقرب من قريش. وابتدأنا من ولد قحطان بالأنصار – رضي الله عنهم – لأنهم أولى الناس بذلك، لتقديم الله تعالى إياهم في الفضل، ولما أظهر الله عز وجل بأيديهم من الدين، فأوجب لهم بذلك حقاً على كل مسلم; ثم بالأقرب فالأقرب من الأنصار." (1).

ولم يشأ ابن حزم أن يغفل قضية نقد الخبر التاريخى فى كتابه هذا بل عمد إلى تأصيلها فى غير ما موضع من كتابه ، ومن ذلك إبطاله ادعاء البعض بأن علياً بن أبى طالب لم يكن له سمي وانتقد هذا الادعاء معتمداً على ثقافته العالية في النسب حيث قال : " بل كان في العرب من يسمون هذا الاسم كعلي بن وائل (2)، إليه يرجع كل بكري في العالم نسبة، وفي الأزد علي، وفي بجليلة علي وغيرها، وكل ذلك في الجاهلية مشهور، وأقرب من كل ذلك عامر بن الطفيل يكنى أبا علي (3)، ومجاهرتهم أكثر مما تذكر.

وهكذا فإن ابن حزم في محاكماته للأخبار التاريخية يبحث عن الأسباب والعوامل الكامنة وراء تلك الأحداث والأخبار، ويعول على تحكيم العقل في طبيعة الخبر، إلى جانب اعتماد توثيق الرواة، حتى في بعض ما يدرجه غيره ضمن الأحاديث نفسها ، ولنأخذ مثلا واحدا على ذلك يخص علم النسب وهو حديث " هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر " فقد رواه سليمان بن محمد الخزاعي عن هشام بن خالد عن بقية عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة فرده ابن عبد البر بقوله: " سليمان لا يحتج به " أي أنه لم يقبل

( 1) أنظر : جمهرة أنساب العرب ، ص6.
(2) نفسه ، ص 309.
(3) نفسه ، ص 285.

الحديث لضعف الراوي [1] . وقال فيه ابن حزم: وقد أقدم قوم فنسبوا هذا القول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا باطل ببرهانين:

أحدهما : أنه لا يصح من جهة النقل أصلا.

والثاني : أن البرهان قد قام على أن علم النسب علم ينفع، وجهل يضر في الدنيا والآخرة ولا يحل لمسلم أن ينسب الباطل المتيقن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] ، فاتكأ على المنهجين معا في رفضه أن يكون ذلك القول حديثا .

لقد تأثر ابن حزم فى منهجه التاريخى بنهج المحدثين في الجرح والتعديل، فجعل أحكامه التاريخية نموذجا آخر من هذا المنهج ، وهو ما نجد صداه فى الجمهرة ، ومن ذلك قوله في الحكم الربضي: " وهو الذي أوقع بأهل الربض، وقتل الفقهاء والخيار وخصى عددا من ذوي الجمال من أهل قرطبة... وهدم الديار والمساجد وولى ذلك رجلا نصرانيا كان أثيرا عنده اسمه ربيع "[3] . وذكر الأمير عبد الله بن محمد فقال: " كان قتالا تهون عليه الدماء، مع ما كان يظهره من عفته، فإنه احتال على أخيه المنذر لما قصده بالعسكر، وواطأ عليه حجاما سم المبضع الذي فصده به، ثم قتل ولديه معا بالسيف واحدا بعد واحد وقتل أخاه القاسم ثالثهم، إلى من قتل من غيرهم ".[4] ويقول في سليمان بن الحكم المتلقب بالمستعين " :وهو الذي كان شؤم الأندلس وشؤم قومه، وهو الذي سلط جنده من البرابرة فأخلوا مدينة الزهراء وجمهور قرطبة حاشا

1 ابن حجر : لسان الميزان ، 3/ 103 – 104.
2 أنظر : جمهرة أنساب العرب ، ص6.
3 أنظر : الجمهرة ، ص 95 – 96.
4 ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص 26.

المدينة وطرفا من الجانب الشرقي، وأخلوا ما حوالي قرطبة من القرى والمنازل والمدن وأفنوا أهلها بالقتل والسبي وهو لا ينكر ولا يغير عليهم شيئا "[1].

2-نسب البربر فى مجلد [2]. ولا ندرى هل هذا الكتاب مستل من كتابه جمهرة أنساب العرب ، وزاد ابن حزم عليه زيادات ؟، أم أن الجزء الذى ضمنه ابن حزم جمهرته مأخوذ من كتابه آنف الذكر؟ . ومن ثم فنحن فى حيرة بشأن أى الكتابين صنف أولاً ؟!! .

وفيما يخص معاجم الشيوخ وكتب الفهارس وبرامج المرويات والمسموعات فقد شغف العلماء عبر العصور بالكتابة فى هذا الفن ، وما يتصل بذلك من الأمور التي تفيد في معرفة طرائق الرواية، واتصال الأسانيد ومعرفة أمهات الكتب ، ومن جملة هؤلاء ابن حزم والذى تناول هذا الفن فى كتابين مفقودين من كتبه هما :

1- تسمية شيوخ مالك ، وهذا الكتاب يؤكد حقيقة بداية ابن حزم حياته العلمية على المذهب المالكى شأنه شأن جل الأندلسيين فى عصره. كما يؤكد حقيقة توقير ابن حزم للإمام مالك ، وموضوعيته رغم حملته التى شنها على مالكية عصره بسبب التقليد .

2- فهرسة شيوخ ابن حزم [3].

1 ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص 102.
2 عبدالباقى السيد : ابن حزم ، ص352.
3 نفس المرجع والمكان والصفحة .

## المبحث السابع : تاريخ الأديان والفرق والأفكار

يعتبر ابن حزم حجة فى هذا الصنف من التاريخ إذ يعتبر كتابه الشهير: " الفصل فى الملل والأهواء والنحل " أحد أبرز ما كتب فى المشرق والمغرب ، وقد سبق ابن حزم به الكثيرين من مؤرخى الفرق المسلمين وغيرهم من الغربيين ، ومن ثم فقد عول عليه كل من أتى بعده .

لقد استهدف ابن حزم من كتابه " الفصل " إبراز تأثير الطائفية في الانشقاق والتشرذم السياسي. فهو أول مصنف أندلسي في هذا الحقل الذي ارتاده المؤرخون المشارقة سلفا. والكتاب "تحفة فريدة في معالجة الأديان والعقائد "، معالجة نقدية بهدف إبراز تأثيراتها الإيجابية والسلبية في الفكر الإسلامي، في إهدار وحدة الأمة عموما، والأندلس خصوصا. وتتسم معالجة ابن حزم بالطابع الجدلي السجالي، المستند إلى الدليل والبرهان [1].

ويتضمن الكتاب عرضا رصيناً لتاريخ الرسل والأنبياء، وخص تاريخ بنى إسرائيل فى أحد جزئياته [2] ، فضلا عن مباحث في الإلهيات العملية، كالميعاد والثواب والعقاب ، وأخرى فلسفية، كالجوهر والعرض والنفس والجسد ; مما يؤكد إحاطة واعية بدور الفلسفة الإيجابي في كتابة التاريخ، خصوصا في مجال التفسير والتنظير. أما مبحثه عن الإمامة ، فيعكس اهتمامه بالرغبة في إحياء الخلافة الأموية بالأندلس ، وقد أفادنا إفادات جمة فى حديثه عن إمامة المفضول ، وحديثه عن من حارب علياً بن أبى طالب من الصحابة ، وكلامه عن نفاذ أحكام الفاسق [3] ، لذلك لم يخطئ أحد الدارسين الثقاة، حين اعتبر هذا الكتاب أعظم ما ألف في علم الأديان المقارن . بل كان سببا فى عكوف الراهب الأسبانى أسين بلاسيوس بضع سنين عليه ليترجمه ويقدم له

1 ابن حزم : الفصل ،1/26-35.
2 أنظر : رسائل ابن حزم ، 2/209-218.
3 أنظر : الفصل ، 3/3/110.

بدراسة عن ابن حزم ومدرسته فى مجلد نفيس [1] ; وأصاب آخر حين انتهى إلى أن ابن حزم تأثر في صياغة عمله هذا بمنهجه الفقهي الظاهري [2].

لقد أفادنا ابن حزم كثيرا بما عرضه فى فصله من تأريخ لأفكار الفرق الإسلامية ضمن مبحث : ذكر العظائم المخرجة إلى الكفر أو إلى المحال من اقوال أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيعة " [3]. كما أفادنا بنظرته الثاقبة حال تدوينه للتاريخ حين عرض ما وقع بينه وبين اليهود من مناظرات حول التوراة وبعض الأحكام[4] ، وكذا حين عرض ما وقع بينه وبين أحد قضاة النصارى ، وما وقع بينه وبين أحد علمائهم حول أمور تمس النصرانية [5].

وأما غايته من تصنيف كتابه العظيم الفصل فى الملل والأهواء والنحل فيوضحها بقوله : " فَإِن كثيرا من النَّاس كتبُوا فِي افْتِرَاق النَّاس فِي دياناتهم ومقالاتهم كتبا كَثِيرَة جدا فبعض أَطَالَ وأسهب وَأكْثر وهجر وَاسْتعْمل الأغاليط والشغب فَكَانَ ذَلِك شاغلاً عَن الْفَهم قَاطعا دون الْعلم وَبَعض أحذف وَقصر وقلل وَاخْتصرَ وَاضْرِبْ عَن كثير من قوي معارضات أَصْحَاب المقالات فَكَانَ فِي ذَلِك غير منصف لنَفسِهِ فِي أَن يرضى لَهَا بِالْغبنِ فِي الْإِبَانَة وظالماً لخصمه فِي أَن لم يوفه حق اعتراضه وباخساً حق من قَرَأَ كِتَابه إِذا لم يغنه عَن غَيره وَكلهمْ إِلَّا نحلة الْقسم عقد كَلَامه تعقيداً يتَعَذَّر فهمه على كثير من أهل الْفَهم وَحلق على الْمعَانِي من بعد حَتَّى صَار ينسي آخر كَلَامه أَوله وَأكْثر هَذَا مِنْهُم ستائر دون فَسَاد معانيهم فَكَانَ هَذَا مِنْهُم غير مَحْمُود فِي عاجله وآجله ... فجمعنا كتَابنَا هَذَا مَعَ استخارتنا الله عز وَجل فِي جمعه وقصدنا بِهِ قصد إِيرَاد الْبَرَاهِين المنتجة عَن الْمُقدمَات الحسية أَو الراجعة إِلَى الْحس من قرب أَو من بعد على حسب قيام

1 بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ص221،222.
2 عبدالحليم عويس : ابن حزم ، ص228.
3 أنظر : الفصل ، 3/ 111 وما بعدها .
(4) ابن حزم: الفصل ،3/303.
(5) أنظر: الفصل،1/366،365 .

الْبَرَاهِين الَّتِي لَا تخون أصلا مخرجها إِلَى مَا أخرجت لَهُ وَألا يَصح مِنْهُ إِلَّا مَا صححت الْبَرَاهِين الْمَذْكُورَة فَقَط إِذْ لَيْسَ الْحق إِلَّا ذَلِك وبالغنا فِي بَيَان اللَّفْظ وَترك التعقيد راجين من الله تَعَالَى على ذَلِك الْأجر الجزيل وَهُوَ تَعَالَى ولي من تولاه ومعطي من استعطاه لَا إِلَه إِلَّا هُوَ وحسبنا الله وَنعم الْوَكِيل "[1].

فهو يبين أن هذا الكتاب خاص بالأدلة والبراهين ، مع التأريخ لأفكار أصحاب الديانات والفرق بطريقة تختلف عن من سبقه فى التصنيف فى هذا الموضوع .

ويمتاز ابن حزم في أسلوبه – فى كتابه الفصل وفى غيره – باستخدامه لفظ: قال: أبو محمد كثيراً لتنبيه القارئ إلى أمور من ضمن ذلك:

1- تكون بداية فقرة جديدة يعلم القارئ بها[2].

2- إيراد المصدر الذي يأخذ معلوماته منه[3].

3- نقل آراء العلماء من خلالها[4].

4- نقل أدلة الخصوم وحججهم[5].

5- إبطال أدلة الخصوم عن طريق إيراده لحججه[6].

6- يورد بعدها آراء الناس في مسألة معينة[7].

---

1 أنظر : الفصل ، 1/11.

(2) ابن حزم : الفصل، 3/63.

(3) نفسه ، 4/157.

(4) نفسه ، 4/209.

(5) نفسه ، 4/127.

(6) نفسه ، 4/128.

(7) نفسه ، 4/101، 121.

7- وسيلة لإيراد بعض المناظرات التي تحصل بينه وبين بعض المناظرين[1].

8- يستخدمها في الربط بين موضوعين[2].

9- ينبه القارئ أن ما سيورده بعدها هو رأيه وقوله[3].

وفي أسلوب ابن حزم فى هذا الكتاب خاصيتان تلقيان ظلالاً من الشك على دور المؤرخ لديه:

**إحداهما** هي القطع والحسم البات بمثل " لا بد " و " لا شك " فهذه إذا لم يكن لها ما يسوغها تمس جانب الدقة في المؤرخ.

**والثانية** هي الحدة في الخطاب وهي تمس جانب الإنصاف في المؤرخ، وخاصة حين تتطابق لديه شخصية المؤرخ مع شخصية المتكلم الجدل .وكلتا الصفتين لا يمكن نفيهما عنه أو الإقلال من تأثيرهما في نفس من يدرس دور المؤرخ لديه، ولكن مزيدا من التعرف على شخصيته في إخلاصه وصدقه وصراحته واعتداده بذكائه واطلاعه يجعل قبول هاتين الخاصيتين أمرا ممكنا; فالحسم البات لا يكون إلا من ثقة لا يشوبها غرور كي يجد قبولا، والحدة قد تكون ذات علاقة بوضع نفسي أو تعويضا عن فقدان شيء ما ، فهي حدة لم يستطع التخلي عنها من سماهم العلامة الدكتور محمود مكي " جيل الفتنة البربرية " من أمثال ابن حزم وابن حيان وابن شهيد، كما لم يستطيعوا أن يتخلوا عن السخرية; فقد كانوا نتاج فترة " إحباط " نفسي، عبر عنه كل واحد مهم بطريقته، وإذا كان ابن حزم يصك معارضه برأيه صك الجندل[4] – فيما يقول ابن حيان – فليس ابن

(1) نفسه ، 4/196.

(2) نفسه ، 3/63.

(3) نفسه ، 2/339.

4 ابن بسام : الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ، ص 168.

حيان فيما يصوره من شخصيات وأوضاع بأقل عنفا – إن اختلف نوع العنف – وليس ابن شهيد صاحب التوابع والزوابع ورسائل أخرى بأقل سخرية منهما.

أما بشأن منهج ابن حزم فى كتابه الفصل . فقد استخدم عدة مناهج حال تدوينه هذا الكتاب العظيم يأتى فى مقدمتها المنهج الإحصائى الذى يتضح حال مناقشته مآل التوراة وحالها بين بنى إسرائيل ، والتى من خلال طرحه يبين ضياع التوراة الحقيقية ، وأن التى بين يدى اليهود هى توراة محرفة وباطلة ويعبر عن ذلك بقوله : " ونصف ان شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بني اسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام الى انقراض دولتهم الى رجوعهم الى بيت المقدس الى ان كتبها عزرا الوراق بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد... وما اختلفوا فيه... نبهنا عليه ليتيقن كل ذي فهم انها محرفة مبدلة. "[1].

وابن حزم هنا يؤكد أن التوراة لم تكن لتسلم من التحريف عبر تاريخ بني اسرائيل، لعدة اعتبارات يمكن أن نجملها فى التالى :

أولا : أنها من جهة لم تكن عند عموم الناس بل كانت عند "الكاهن الأكبر" وكل كتاب يبقى عند فئة بعينها فسلامته من التحريف والتبديل تكون ضعيفة .

ثانيا : لأن تاريخ بني اسرائيل مليء بالحروب والدمار والسبي والحرق الى درجة يستحيل معها بقاء التوراة سالمة، خاصة وأن المعابد هي أول ما كان يتعرض للتخريب والنهب عندهم.

ثالثا : لأن ملوك بني إسرائيل بعد انقسام المملكة كان جلّهم على الكفر، محارب للإيمان ومخرب للمعابد، فلم تكن التوراة لتنجو منهم، ومن خلال ما طرحه ابن حزم بشأن هذه القضية يمكننا أن نقسمها على النحو التالى ليتبين لنا من خلال الإحصاء بطلان التوراة وتحريفها :

---

1 أنظر : الفصل ، 214/1.

**أولا : حال التوراة من موت موسى الى انقسام المملكة**: وهنا يستعرض ابن حزم تاريخ بنى إسرائيل عبر هذا التاريخ من يوشع بن نون حتى سليمان عليه السلام مبيننا سنوات حكم كل حاكم أو نبى أو ملك ، وقد أحصاهم جميعا فبلغوا سبعة وعشرين حاكما[1].

وقد علق ابن حزم على هذا التاريخ بقوله "فاعلموا الآن أنه من وقت دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور، سبع ردات فارقوا فيها الإيمان واعلنوا عبادة الأصنام (بين ثمانية اعوام واربعين سنة في ردة) فتأملوا اي كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الإمان هذه المدد الطوال، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم. "[2].

وهكذا ينكر ابن حزم هنا سلامة التوراة مع تلك الفترات الطوال من الكفر التي يقر فيها كاتب التوراة أن الجميع يكفر ولا يبقى واحد على الإيمان، بل يجاهرون بعبادة الأصنام.

**ثانيا : حال التوراة في مملكة "يهوذا" من بدايتها الى نهايتها** : وهي التي تضم بني يهوذا وبني بنيامين لبني سليمان، وقد عرفت عشرين ملكاً بدءً من رحبعان بن سليمان حتى متنيا بن يوشيا ، والذى حكم إحدى عشرة سنة إلى أن اسره بختنصر وهدم البيت والمدينة واستأصل جميع بني اسرائيل وبني سليمان جملة ، كان معظمهم على الكفر وعبادة الأوثان [3].

1 أنظر : الفصل ، 1/214-216.
2 نفسه ، 1/216.
3 ابن حزم : الفصل ، 1/216-220.

وقد علق ابن حزم على ما سبق بقوله: "فاعلموا الآن أن التوراة لم تكن من أول دولتهم الى انقضائها إلا عند الهاروني الكوهن الأكبر وحده في الهيكل فقط " ([1]).

وقد أشار ابن حزم الى أن فترة ملكهم التي دامت حوالي أربعمائة سنة، حكمهم فيها تسعة عشر ملكا وامرأة هي تمام العشرين كانوا كلهم على الكفر حاشى خمسة منهم كانوا على الإيمان. وقد وصلت المدة الفاصلة بين قترة الإيمان والكفر الى أكثر من مائة وستين عاما في احدى المرات، كلها في عبادة الأوثان وقتل الأنبياء، واستمر حالهم كذلك الى أن سباهم بختنصر وهدم البيت واستأصل أثره ولم تكن التوراة عند أحد إلا فيه، فكيف تسلم عبر هذه القرون الطويلة وهي في الهيكل الذي كانت الغارات لا تغفل عنه ولا تترك فيه شيء ! ([2]).

**ثالثا : حال التوراة في مملكة "اسرائيل" من بدايتها إلى نهايتها:**

وقد ضمت هذه المملكة الأسباط العشرة، أما ملوكهم "فلم يكن فيهم مؤمن قط ، بل كانوا معلنين عبادة الأوثان، مخيفين للأنبياء مانعين القصد الى بيت المقدس ولم يكن فيهم نبي قط الا مقتولا أو هاربا مخافا" ، وقد أجمل ابن حزم عددهم فى إحدى وعشرين ملكا بدءً من برعام بن ناباط حتى هوشع بن أيلا آخر ملوك الأسباط العشرة. ([3]).

ومن خلال العرض السابق الذى لخص لنا حال أولياء بنى إسرائيل وملوكهم منذ موت موسى عليه السلام إلى سبي البابلي، يتبين أن أغلبهم كانوا على الكفر، مجاهرين بعبادة الأوثان، متبعين للشهوات والملذات، وذلك بشهادة الكتاب المقدس نفسه، بل إن التوراة خلال هذه القرون الطويلة لم تكن متداولة بل كانت دائما بيد الكوهن الأكبر، الى أن أقيم الهيكل فوضعت فيه ولم تكن عند أحد، أضف الى ذلك أن كل

1 أنظر : الفصل ، 220/1.
2 أنظر : الفصل ، 220/1.
3 نفسه ، 223/1،224.

الغارات التي كانت تصيبهم كانت تفرغ الهيكل من كل ما فيه، هذا وفد تعرضت التوراة للتمزيق والإحراق غير ما مرة، فكيف يدعي مدع بنجاتها من كل هذا ووصولها سالمة!!

ولذا نجد ابن حزم يعلن فى وضوح بعد استخدامه المنهج الإحصائى أن التوراة الحقيقية لم تنج من التحريف والتبديل ، وهذا نص قوله : " إنها من إملاء عزرا الوراق الهاروني وهم مقرون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كبير فأصلحه!!.. وكانت كتابته لها بعد سبعين سنة من خراب البيت، وكتبهم تدل على أنه لم يكتبها ولم يصلحها إلا بعد نحو أربعين سنة من رجوعهم الى البيت بعد سبعين عاما السالفة الذكر، ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلا، ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهورا ضعيفا ولم تزل تتداول الى أن جعل "انطاكيوس" الملك وثنا للعبادة في بيت المقدس، وأخذ بني اسرائيل بعبادته ثم تولى أمرهم في كل قرية وذلك بعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمائة سنة.. ثم إن في التوراة التي ترجمها السبعون شيخا لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة مخالفة للتي كتبها عزرا" فلا سبيل إذاً للقول بنجاة التوراة ! [1].

كما يتضح المنهج الإحصائى عند ابن حزم أثناء حديثه عن مسألة المفاضلة بين الصحابة ففي تقييمه لشخصية أبي بكر ، يبين أنه أفقه الصحابة وأكثرهم رواية، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار: " أن أبا بكر لم يعش بعد رسول الله إلا سنتين وستة أشهر"[2]، وهو أيضاً لم يكن قد غادر المدينة في خلافته إلا حاجاً أو معتمراً، ومع ذلك فقد: " روى عنه عن النبي مائة حديث واثنان وأربعون حديثاً مسندة "[3]، كما أنه كان ورعاً في مدة خلافته فلم يستعمل أحداً من أقربائه في الأعمال والأمصار، بالرغم من أنه كان له

(1) أنظر : الفصل ، 1/223،224.
(2) نفسه ، 4/213.
(3) نفسه ، 4/213.

أقرباء من خيار الصحابة [1]. كما أنه كان أول الناس إسلاماً برأيه، وذلك لأن النبي بعث وعمره ثمان وثلاثين سنة مقارنة بغيره من الصحابة وهذا السن فيه كمال العقل والمكانة الاجتماعية فكانت قوة معنوية للنبي عليه الصلاة والسلام [2]، وحتى بعد أن تولى الخلافة كان زاهداً في المعيشة متكففاً بها: " فما اتخذ جاريه ولا توسع في مال، وعد عند موته ما أنفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذي لم يستوف منه إلا بعض حقه وأمر بصرفه إلى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من سهامه في المغازي"[3].

كما يتضح المنهج الإحصائى الذى استخدمه ابن حزم فى كتابه الفصل حال حديثه عن تواريخ العرب والعجم وممالك النصارى والصقالبة والترك والهند والسودان فإنه يشير إلى ثلاث درجات تخص إنجاب الذكور ، وهى :

**أولا : الحد الأعلى المعقول للكثرة : 14 ولدا.**

**ثانيا : الحد النادر جدا : عشرون فما فوق.**

**ثالثا : الحد الذي لا يقاس عليه جماعيا : 30 فما فوق; وهذا الأخير ينطبق على أفراد بأعيانهم منهم :**

1- أنس بن مالك الأنصاري مائة ولد .
2- خليفة بن أبي السعدي مائة ولد.
3- أبو بكرة مائة ولد.
4- عمر بن عبد الملك ستون ولدا.

(1) نفسه ، 4/217.
(2) نفسه ، 1/218.
(3) نفسه، 1/216.

5- جعفر بن سليمان بن علي أربعون ولدا
6- عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ثلاثون ولدا.
7- موسى بن إبراهيم بن موسى واحد وثلاثون ولدا .
8- وصيف مولى المعتصم خمسة وخمسون ولدا.
9- تامزوت مولى بني مناد ثمانون ولدا.
10- رجل بربري من بني دمر مائتين من ولده وولد ولده.
11- تميم بن زيد بن يزيد اليفرني خمسون ولدا.
12- أبو البهار بن زيري ثلاثون ولدا.
13- مرزوق بن أشكر الثغري ثلاثون ولدا.
14- أحد ملوك الهند ثمانون ولدا.
15- جدعون بن يوآش اليهودي سبعون ولدا.
16- يائير بن جلعاد اليهودي اثنان وثلاثون ولدا .
17- عبدون بن هلال (هليل) اليهودي أربعون ولدا.
18- أفصان (أبصان) اليهودي ثلاثون ولدا.
19- جودرز ملك كرمان تسعون ولدا [1].

وإلى جانب المنهج الإحصائى الذى استخدمه ابن حزم فى كتابه الفصل وفى غيره من مصنفاته التاريخية . فقد كان الاتجاه العقلاني واضحا لدى ابن حزم فى مناقشة الروايات التى طرحها بكتابه الفصل ، ومن ذلك مثلا موقفه ممن قال إن المسلمين لم يبايعوا عليا بعد وفاة الرسول لأنه كان قد قتل عددا من رجالات قريش، فانحرف الناس عنه، ويرد ابن حزم بأن هذا تمويه ضعيف لأن الإحصاء يفنده ، فالذين قتلهم علي:

1 ابن حزم : الفصل ، 175/1.

1- رجل واحد من بني عامر بن لؤي هو عمرو بن ود.
2- رجال من بني مخزوم وبني عبد الدار .
3- اثنان من بني عبد شمس هما الوليد بن عتبة والعاص بن سهل بن العاص (وقد شارك في قتل ثالث).

هذا كل ما هنالك، ولم يقتل من بني تميم (قبيلة أبي بكر) ولا من بني عدي (قبيلة عمر) أحدا، وهما قد استبعداه من الخلافة، ولم يقتل من الأنصار أحدا (فلم يسرعوا إلى بيعته إن كان النص قد جاء بها ) ولم يقتل أحدا من ربيعة ومضر واليمن وقضاعة (فلم لم تبايعه هذه القبائل وبايعت أبا بكر ) ([1]) ، وهكذا يحاول ابن حزم – على قاعدة إحصائية – أن يدفع قول من قال: إن القرشيين كانوا منحرفين عن علي لأنه قتل عددا من رجالهم في حروبه مع النبي; ولست أقول أن هذا الجدال القائم على الإحصاءات دامغ لا ينقض، بل إن ابن حزم يعرف ذلك، فيورد حججا أخرى تؤيد البرهان الإحصائي وتعضده، ولكنه قلما يستغني عن "لغة الأرقام " لأنها رصيد ضروري مسعف عند الحاجة إليه، وإذا كان ذلك الرصيد قد يبرز بعض العجائب والنوادر في مجرى التاريخ الإنساني، فذلك في ذاته لا يمثل إلا جانبا واحدا من فوائد الإحصاء بين جوانب أخرى متعددة.

الجدير بالذكر أن منهج ابن حزم فى نقد الأخبار، أو ما اصطلح علي تسميته بفلسفة التاريخ يبرز جليا فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ولابد مما ليس منه بد أن نقرر أن ابن حزم قاد المحاولات الأولى لفهم وتفسير التاريخ فى كتابه الأنف الذكر , وإن تعريفه للتاريخ وللمنهج التاريخي يقترب مما نعرفه اليوم; ولئن لم يطبّق كثيرا من اقتراحاته الجزئية في كتاب خاصّ, فان ذلك لا يسلبه فضل التعبير عنها بدقة ووضوح ; ولعل السبب فى شهرة ابن خلدون فى هذا الموضوع ترجع إلى إفراده فصلا كاملا فى

1 نفسه ، 4/99.

مقدمته عن النقد التاريخى تحت عنوان ( المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها ) (1) ، أما ابن حزم فلم تجمع آراءه دراسة متخصصة أو فصل كامل ، وإنما كانت مبثوثة فى ثنايا كتبه ، لا سيما فى كتابه الشهير الفصل فى الملل والأهواء والنحل (2).

لقد نقل ابن حزم التاريخ من مجرد رواية للخبر إلى النقد المعتمد على أصول عقلية ومنطقية مبينا ما بالتاريخ من أساطير وخرافات وروايات كاذبة ، وظهر ذلك فى رفضه لقول الأخبار التي اتفق الشيعة والسنة على صحتها ، ومنها احتجاجهم بقول رسول الله لعلي : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " (3)، وهنا يستخدم ابن حزم الواقع التاريخى فى إبطال ما احتج به الشيعة من أن هذا الحديث يؤكد أحقية على بن أبى طالب بالخلافة بعد النبى فيقول: " إنما قاله رسول الله إذا استخلف علياً على المدينة في غزوة تبوك، فقال له المنافقون استثقله فخلفه، فلحق علي برسول الله فشكى إليه ذلك، فقال له ما قال" (4)، ثم يرجع إلى التوراة نفسها ليستخدمها فى إبطال احتجاج الشيعة بهذا الحديث لأن هارون لم يل أمر بنى إسرائيل بعد موسى ، فأنى لعلى ان يلى الأمر بعد النبى ، فيقول ابن حزم : " هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون ، فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة " (5).

---

1 أنظر : المقدمة ، ص6-26 .

2عبدالباقى السيد : ابن حزم الظاهرى ، ص260.

(3) أنظر : صحيح مسلم ، 4/1870 – 1871 ; جامع الترمذي ، 5/ 638.

(4) أنظر : الفصل، 4/159 – 160 ; ابن هشام : السيرة ، 2/519 – 520.

(5) أنظر : الفصل ، 4/159.

لقد نجح ابن حزم فى إخضاع الخبر لميزان العقل ، لأن تمحيص الخبر التاريخي من أهم مهام المؤرخ، فعند مناقشته لقول من ادعى أن عثمان بن عفان مكث مطروحا على مزبلة بعد وفاته اياما نراه يبطل ذلك بقوله : " كذب بحث، وإفك موضوع، وتوليد من لا حياء في وجهه، شهد دفنه طائفة من الصحابة هذا ما لا يتمارى فيه ممن له علم بالأخبار " [1].

وإذا كان ابن حزم لم يصنف كتابا مستقلا عن فلسفة التاريخ أو ما يسمى نقد الخبر التاريخى فقد أفرد جزءً كبيرا من مصنفه النفيس "الفصل في الملل والأهواء والنحل" للحديث عن نقد التوراة ، وركز فيه على ثلاثة أمور; ليثبت من خلالها التحريف الذي لحق بها وهي:

**أولا :عدم الدقة التاريخية والجغرافية** ، فقد ناقش ابن حزم تفاصيل توراتية عديدة ذات صبغة تاريخية أو جغرافية، وأكد على عدم صحة هذه التفاصيل; فعدد السنوات التي تعطى لبعض الشخصيات غير دقيق، ولا يتناسب مع التسلسل التاريخي لأحداث توراتية أخرى، ففي قصة الطوفان نجد الحساب الزمني ينحرف حوالي عشرة أشهر عما هو مذكور في سفر التكوين، وهذا الانحراف الزمني حدث لأن يد التحريف تناولته; لأن "الله لا يخطئ ولا في دقيقة واحدة"، كما يقول ابن حزم، وقد تكرر هذا الأمر كثيرا في تسلسل الأحداث التاريخية في التوراة، كما لاحظ ابن حزم تناقضات تاريخية بين سفر الخروج وسفر العدد(2).

ومن النصوص التوراتية المرتبطة بعلم الجغرافية، والتى تعرض لها ابن حزم النص الآتي من سفر التكوين: "ونهر يخرج من عدن فسيقي الجنات ثم يفترق فيصير اربعة اسم احدها النيل وهو محيط بجميع بلاد زويلة... واسم الثاني جيحان وهو محيط

(1) أنظر : الفصل، 239/3.

( 2 )أنظر : الفصل ، 140/1-153.

بجميع بلاد الحبشة واسم ثالث الدجلة وهو السائر شرق الموصل واسم رابع الفرات وأخذ الله آدم ووضعه في جنات عدن ".

قال ابن حزم: "في هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزء" ، وهو هنا ينفي تماماً الإلهية عن هذا الكلام ويؤكد أنه لا يمكن أن يصدر إلا عن كذاب مستهزء ويبين كذبه بقوله : "أول ذلك إخباره أن هذه الأربعة تفترق من النهر الذي يخرج من جنات عدن التي اسكن الله فيها آدم... وكل من له ادنى معرفة بالهيئة وبنصبه الربع المعمور من الأرض أو مشى الى مصر والشام والموصل يدري ان هذا كله كذب فاضح وان مخرج النيل من عين الجنوب ومصبه قبالة الاسكندرية فأما جيحان فيخرج من بلاد الروم حتى يصب فب البحر الشامي وأما دجلة فمخرجها من أعن بقرب خلاط من عما أرمينية واما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من (قالي) ... فهذه كذبة شنيعة لا مخلص منها والله لا يكذب. "[1].

ومن خلال هذا البيان الدقيق المستوحى من علم ابن حزم الجيد بالجغرافية، يؤكد مرة أخرى شناعة ما احتوته التوراة من الكذب الذي يستحيل ان يصدر عن الله عزّ وجل، وقد استمر بعد هذا في اعطاء معلومات اخرى حول هذه الأنهار خلافا لما جاء في التوراة.

وفيما يخص الحساب والتاريخ معاً فقد ساق ابن حزم في هذا الباب أمثلة كثيرة تبين جهده العظيم فى نقد الخبر التوراتى والروايات التوراتية ، وأكّد من خلالها أن الذي ألف التوراة لم يكن له علم بالحساب، منها كلامه عن مدة تعذيب بني اسرائيل ، ومدة بقائهم في مصر ، والفارق الزمني بين الأحداث في التوراة مقارنة مع الإنجيل مرتبطة بالطوفان وأبناء نوح عليه السلام وسوف اقتصر على ما ساقه عن عُمُر سام ابن نوح عند وقوع الطوفان حيث قال: " قال توراتهم ان نوحا لما بلغ خمسمائة سنة ولد له يافت وسام وحام ثم ذكر ان نوحا إذْ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ولسام يومئذ مائة سنة

1 أنظر : الفصل ، 1/140،141.

وقال بعد ذلك إن سام لما كان ابن مائة سنة ولد أرفكشاد لسنتين بعد الطوفان" ففي الحساب الأول أن سام لما كان عمره مائة سنة وقع الطوفان، وفي الثاني لما كان عمره مائة سنة كان قد مر على الطوفان سنتين، ونتيجة لهذا الاضطرب قال ابن حزم "وهذا كذب فاحش وتلون سمج وجهل مظلم... حاشى لله من مثله ".(1).

وهو هنا ينزه الذات الإلهية عن الكذب والخطأ وينسبهما لمن ألف التوراة.

**ثانيا : سلوكيات غير مقبولة** ، فقد اعتبر ابن حزم أن القصص المتكررة عن الزنا في سفر التكوين، والمنسوبة إلى أجداد وأنبياء بني إسرائيل دليلا قاطعا على تحريف الكتاب المقدس، فقد ألقت هذه القصص بظلالها على السلوك الأخلاقي للأنبياء والأجداد، وقد أحصى ابن حزم هذه القصص وتتبعها; فذكر قصة لوط وزنا ابنتيه به، وقصة زواج إبراهيم من أخته غير الشقيقة (سارة) (تكوين12: 12- 13)، وكيف اضطجع يعقوب مع ليئة التي تزوجها خطأ بدلا من أختها (تكوين15: 29)، وكيف اضطجع رأوبين (أحد أبناء يعقوب عليه السلام) مع "بلهة" زوجة أبيه، وكيف تخلص داوود من أحد أتباعه ليتزوج امرأته، وكيف استمالت زوجات سليمان زوجهن لعبادة آلهتهن...إلخ.

لقد كان واضحا أن ابن حزم في هجومه على التوراة يدحض مفاهيم مسيحية كذلك; وقد عبر عن دهشته من قبول المسيحيين للعهد القديم، رغم "فساد نصه"; لكنه كان يربط ذلك بقبولهم لقصص الأناجيل المتناقضة وغير الصحيحة (2).

ويختتم ابن حزم نقده لنصوص التوراة موضحا بطلانها بالبرهان القاطع بقوله: "هذا آخر توراتهم وتمامها وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة في ان توراتهم مبدلة وانها تاريخ مؤلف، كتبه لهم من تحرض بجهله أو تعمد

1 أنظر : الفصل ، 147/1.

2 أنظر : الفصل ، 159،160.

بفكره، وانها غير منزلة من عند الله تعالى; إذ لا يمكن ان يكون هذا الفصل منزلا على موسى في حياته وقوله لم يعرف قبره آدمي الى اليوم بيان لما ذكرنا كاف، وانه تاريخ الف بعد دهر طول ولا بد. " ثم يستطرد قائلا بأن فصلا واحدا من الفصول التي ذكر موجب لتحريف التوراة ، فكيف وهي سبعة وخمسون فصلا قد تجمع الفصل منها سبع كذبات أو مناقصات" (1).

لم تقتصر جهود ابن حزم بخصوص هذا الصنف من أصناف الكتابة التاريخية على كتابه العظيم الفصل ; بل كانت له مشاركات عديدة نذكر منها :

**1-الأصول والفروع** ، وهو أشبه بمختصر لكتاب الفصل إن لم يكن هو بالفعل المختصر الذى أشار إليه الذهبى وغيره من كتاب السير والتراجم.

**2-كتاب السياسة** الذى صنفه تقريبا سنة 418هـ/1026م وقد نشر محمد إبراهيم الكنانى بمجلة تطوان عدد (5) سنة1960م ص95-107 نتفا ذكر أنها من كتاب السياسة ، والأمر ليس كذلك لأمور عدة ذكرناها بكتابنا : " كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم وأثره فى الحضارة الإسلامية " ، منها :

**الأول** : أن النتف المنشورة تعالج قضية الخلافة وما يتبعها من خطط وولايات سياسية وإدارية ودينية ومالية ، وهو ما يؤكد ما نذهب إليه من أن هذه النتف من كتاب الإمامة والسياسة فى سير الخلفاء ومراتبها ، وليست من كتاب السياسة .

**الثانى** : أن ابن حزم أشار إلي كتاب السياسة فى كتابه التقريب لحد المنطق حال حديثه عن تمييز النفس ومنفعة العقل ، ومن ثم رأيناه يقرن بينه – أى كتاب السياسة- وبين كتابه عن أخلاق النفس بقوله : " وبيان ذلك مذكور فى كتابنا فى " أخلاق النفس والسيرة الفاضلة" ، وفى كتابنا فى "السياسة " إن شاء الله تعالى ..."(2).

---

1 أنظر : الفصل ، 212/1.

2 أنظر : التقريب ، رسائل ابن حزم ، 319/4.

**الثالث :** أن ذكر ابن حزم لكتابه السياسة جاء فى الباب السادس عشر من كتابه التقريب وعنوانه : " باب الكلام فى فضل قوة إدراك العقل على إدراك الحواس" [1] ، وهو ما يؤكد أن كتاب السياسة الذى صنفه ابن حزم لا دخل له بخطط الدولة ولا بنظمها ، بل هو على منوال كتب السياسة التى صنفها الفلاسفة كالفارابى وابن سينا ، وغيرهما ممن عرضنا لكتبهم بالفصل الثانى من كتابنا : " كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم وأثره فى الحضارة الإسلامية ".

**3-كتاب الإمامة والسياسة فى قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها** [2] ، وورد عند ابن حيان فى كتابه المتين [3] باسم : " الإمامة والسياسة فى قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها " [4] ; وذكره أبو العباس أحمد العزفي السبتي باسم "سياسة الإمامة وتَدْبير المملكةِ"[5] ; وذكره المقرى باسم " الإمامة والخلافة " [6] ، ولا شك أن التسمية الأولى التى وردت عند ابن حيان مؤرخ الأندلس الشهير ومعاصر ابن حزم هى أدق التسميات للكتاب ، وعنه أخذها ابن بسام فى

---

1 أنظر : التقريب ، 4/312-320.

2 ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ،1/143 ; وانظر : المقرى : نفح الطيب ، 1/ 365.

3 من كتب ابن حيان المفقودة والتى نقل عنه ابن بسام فى ذخيرته نقولا مطولة ، ومن جملتها ترجمة ابن حزم ، والتى فصل فيها ابن حيان كثيرا من الأمور عن ابن حزم حتى وفاته فى العام 456هـ ، وقد جمع أستاذنا الدكتور عبدالله جمال الدين ما توفر له من نصوص المتين ، وطبعها فى مجلد بالمجلس الأعلى للثقافة ، وهو فى أصله كان القسم العربى من أطروحته للدكتوراة التى حصل عليها من جامعة مدريد .

4 نقلا عن : عبدالله محمد جمال الدين : من نصوص كتاب المتين ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1418هـ/1997م ، ص48 .

5 أنظر : إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدرهم والصاع والمد، تحقيق محمد الشريف ، ط 1999م ، ص 104. 105.

6 أنظر : نفح الطيب ، 1/365.

ذخيرته وأثبتها كما هى ; ومن ثم أثبتناها عنه ، وأما ما ذكره العزفى عن اسم الكتاب فلا شك أنه عنى بما ذكره مضمون الكتاب ، وهو وإن كان قد ابتعد كثيرا عن الاسم الحقيقى له إلا أنه أكد لنا أن مضمون الكتاب يخص الخلافة وتدبير الدولة الإسلامية ، وما يتبع الإمامة من خطط وولايات . الأمر الذى يجعلنا نطمئن إلى ما ذهبنا إليه من أن الشذرات التى نشرها الكتانى ليست من كتاب السياسة لابن حزم ، وإنما هى من كتاب الإمامة والسياسة .

وقد وردت شذرات من كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم ضمن كتاب الشهب اللامعة والسياسة النافعة لابن رضوان ، وضمن بدائع السلك لابن الأزرق ، وضمن كتاب السياسة لمجهول. فضلا عن اعتماد كل من أبى العباس العزفى ، وأبى الحسن على بن يوسف الحكيم – صاحب الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة– عليه ونقلهما منه ; وقد تقصينا هذه النصوص بالفصل الرابع من كتابنا : " كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم وأثره فى الحضارة الإسلامية ".

**4–كتاب الإمامة والمفاضلة** ، صنفه ابن حزم ككتاب مفرد تناول فيه ما يخص الخلافة من شروط وأحكام ، وطرق البيعة ، وإمامة المفضول .....إلخ . ثم ضمنه فى كتابه الفصل [1].

5– **الرسالة اللازمة لأولى الأمر** ، وللأسف هى من كتبه المفقودة ، ولكن لا شك أن هذه الرسالة تناولت ما يخص الخليفة وكل ما وسد إليه أمراً من أمور الحكم فى الدولة الإسلامية . كما هو واضح من عنوانها .

1 أنظر : الفصل ، 3–110.